د. محمد عمارة

الفاتيكان والإسلام

أهى حماقة؟.. أم عداء له تاريخ؟؟



الفاتيكان.. والإسلام

أهي حماقة؟.. أم عداء له تاريخ؟؟

د. محمد عمارة



البرنامج الوطنى لدار الكتب المصرية
الفهرسة أثناء النشر
(بطاقة فهرسة)
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشئون الفنية)

عمارة، محمد

الفاتيكان . . والإسلام: أهى حماقة؟ أم عداء له تاريخ

محمد عمارة

ط ١ ـ القاهرة : مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٧م

١٤٤ ص ؛ ١٧× ٢٤سم

تدمك : 6-2043-09- 977

١ ـ الإسلام والمسيحية

أ ـ العنوان ٢١٤,٢٧

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٩٧٣٠م

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977- 09 - 2043 - 6

الفهـــرس

لماذا هذا الكتاب؟؟

● فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م ألقى بابا الفاتيكان ـ «بنديكتوس السادس عشر» ـ محاضرة عن علاقة العقل بالإيمان فى المسيحية . . وذلك بجامعة «ريجنسبورج» . . بمدينة «رايتسبون» ـ الألمانية . .

● وكانت المفاجأة هى بدء البابا محاضرته بالهجوم على الإسلام! . . بل واستغرق الهجوم على الإسلام ربع هذه المحاضرة! . .

● ولقد طال «الهجوم البابوى» على الإسلام :

١ ـ الذات الإلهية . . التى زعم البابا أن مشيئتها ـ فى الإسلام ـ متسامية، لا تخضع للعقل ولا للمنطق . . بل إنها ـ بزعمه ـ لا تلتزم حتى بكلمتها الخاصة!! . .

٢ ـ ورسول الإسلام ﷺ الذى زعم البابا أنه لم يأت إلا بكل ما هو سيئ وشرير ولا إنسانى . . ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف! . .

٣ ـ والخلط بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب المقدسة فى المسيحية ـ الحرب الدينية ـ والادعاء بأن الإسلام إنما يؤسس للعنف والإرهاب!

٤ ـ والافتراء البابوى على القرآن الكريم . . الذى وصف البابا آياته بأنها «تعليمات أوامر اللئام»!! . .

***

وعبر العالم كله . . أثارت محاضرة البابا ـ هذه ـ موجات من الغضب والرفض والاحتجاج والاستغراب . . حتى لقد تناولت مجلة «نيوزويك» ـ الأمريكية ـ التعليق على هذه المحاضرة، فجعلت عنوان غلافها ـ عدد ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٦م ـ :

[بنديكتوس السادس عشر . . ماذا دهاه؟]

وقالت ـ النيوزويك ـ : «إن البابا تناول الإسلام بطريقة خرقاء» . .

***

- فهل كان هذا التوصيف لمحاضرة البابا هو التوصيف الدقيق؟ . .
- وهل هذا الموقف «الڤاتيكانى ـ البابوى» من الإسلام هو مجرد «حماقة خرقاء»؟ . .
- أم أننا أمام تاريخ طويل من العداء الشديد للإسلام . . ومن ثقافة الكراهية السوداء لأمة الإسلام؟ . .

لدراسة هذه القضية . . والإجابة على هذه التساؤلات . . يصدر هذا الكتاب .

د. محمد عمارة

شوال ١٤٢٧هـ.

أكتوبر ٢٠٠٦م.

- ١ -

تمهيد

● عندما انتخب البابا يوحنا بولص الثانى [١٩٢١ - ٢٠٠٥م] بابا للڤاتيكان، وحبراً أعظم للكنيسة الكاثوليكية - أكبر كنائس النصرانية (١ , ١ مليار). . - وأطل على رعيته، من شرفة كنيسة القديس بطرس - فى ١٦ - ١٠ - ١٩٧٨م - أعلن:

«أن المسيح هو الحل». . وسعى وراء «تنصير الثقافة». . وذلك لمواجهة الواقع المسيحى الغربى الذى همشت فيه العلمانيةُ المسيحيةَ، حتى لقد جعلت الذين يؤمنون - فى أوروبا - بوجود إله لا يتجاوزون ١٤٪ من السكان. . والذين يذهبون إلى القداس لا يتجاوزون ١٠٪، وهم فى فرنسا - أكبر بلاد الكاثوليكية الأوروبية - لا يتجاوزون ٥٪ - أى أقل من تعداد المسلمين الفرنسيين!!. .

وفى مواجهة هذا الواقع ساد فى الڤاتيكان اتجاه يدعو إلى مقاومة حظر انقراض المسيحية والمسيحيين!. .

● وعلى مستوى العلاقات الخارجية للڤاتيكان نشط البابا وكنيسته على عدة جبهات، منها:

١ - الانخراط النشط مع أمريكا والغرب الرأسمالى فى الحرب الباردة ضد الشيوعية والمعسكر الاشتراكى - تلك الحرب التى وصفوها بأنها «**معركة من أجل الاستيلاء على عقول البشر**»(١). .

وفى إطار العمل على هذه «الجبهة» زار البابا وطنه پولندا ١٩٧٩م. . وحرك نقابة العمال - «التضامن» - بزعامة «ليخ فاليسا» ضد الشيوعية وحكومتها. . وعمل على

---

(١) ستونر سوندرز [الحرب الباردة الثقافية] ص٢٤ . ترجمة: طلعت الشايب. طبعة القاهرة ٢٠٠٢م.

إيقاظ القومية السلافية فى أوروبا الشرقية . . كما كان تشجيعه لـ «فالكلاف هافل» والمنشقين على الشيوعية فى تشيكوسلوفاكيا جزءًا من الحرب الباردة الغربية ضد الشيوعية . . . ويومها حذر رئيس الاستخبارات السوفييتية (كيه . چى . بى) «يورى أندروبوف» الزعماء الشيوعيين البولنديين من أنهم قد ارتكبوا خطأ فادحًا حين سمحوا للبابا بالعودة إلى وطنه زائرًا ! . .

● وفى ١٩٩١م امتدح البابا رأسمالية السوق الحرة، وأعلن «**أنه على مستوى الأمم المنفردة والعلاقات الدولية، تعتبر السوق الحرة أكثر الأدوات فاعلية لاستخدام الموارد، والاستجابة للحاجات بفاعلية» . . وأقر «بالدور الشرعى للربح كمؤشر على أن شركة أعمال ما تقوم بعملها جيدًا . . » . . وحارب «لاهوت التحرير» وقساوسته ـ فى أمريكا اللاتينية» ـ أولئك الذين أرادوا إعطاء «بعد اجتماعى تقدمى» للمسيحية والإنجيل . .**

● وفى إطار دور الڤاتيكان فى قيادة «الجبهة الدينية» فى الحرب الباردة، كانت قد صدرت قرارات المجمع الڤاتيكانى فى ستينيات القرن العشرين، لجذب المسلمين تحت لافتات الحوار الكاثوليكى مع غير المسيحيين . . وتبرئة اليهود المعاصرين من دم المسيح ! . .

٢ ـ وعلى جبهة التقرب من اليهود ـ خضوعًا للابتزاز الصهيونى . . واتساقًا مع تحالف الكنيسة الكاثوليكية مع الإمبريالية الأمريكية، والمسيحية البروتستانتية ـ (المسيحية الصهيونية) ـ . . ولدور اليهود فى الحرب الباردة ضد الشيوعية . . بدأ الڤاتيكان التوجهات التى سميت «**زرع المسيح فى إسرائيل**» ! . . والحديث عنه باعتباره يهوديًا ! . .

كما أعلن البابا يوحنا بولص الثانى ـ بمناسبة «سنة الفداء» ـ فى ٢٠/ ٤/ ١٩٨٤م ـ أن القدس هى شعار الوطن اليهودى ! . . فقال :

«منذ عهد داود، الذى جعل أورشليم عاصمة لمملكته، ومن بعده ابنه سليمان الذى أقام الهيكل، ظلت أورشليم موضع الحب العميق فى وجدان اليهود، الذين لم ينسوا ذكرها على مر الأيام، وظلت قلوبهم عالقة بها كل يوم، وهم يرون المدينة شعارًا لوطنهم» !

● وكان البابا يوحنا بولص الثانى أول بابا كاثوليكى يزور كنيسًا يهوديًا - كنيس روما القديم - ١٩٨٦م . .

● وفى ١٩٩٣م أقام الفاتيكان العلاقات الدبلوماسية مع الدولة الصهيونية . . وجاء فى مقدمة المعاهدة التى عقدت فى ٣١ - ١٢ - ١٩٩٣م - بين الفاتيكان وإسرائيل - النص على «العلاقات الفريدة بين الكاثوليكية والشعب اليهودى» ! . . . - بما يتضمنه هذا النص من «إلزام دينى» حتى للكاثوليك العرب بهذه العلاقة الفريدة مع الكيان الصهيونى ! ! . .

● وفى مارس ٢٠٠٠م زار البابا إسرائيل . . وقدم اعتذارًا وندمًا - غير مسبوقين من الحبر الأعظم المعصوم ! - لليهود عما ارتكبته الكاثوليكية فى حقهم - بسبب المعاداة المسيحية للسامية - . . وكتب بذلك الاعتذار والندم «مذكرة» وضعها فى شق بالحائط الغربى - (حائط المبكى) - بالقدس ، دعا فيها إلى الصفح عن الكنيسة الكاثوليكية للخطايا التى ارتكبتها فى حق اليهود ! . .

● وفى ٢٠٠٤م استقبل البابا كبار حاخامات اليهود فى الفاتيكان . . وقال فى حضرة كبير الحاخامات لطائفة اليهود الغربيين فى إسرائيل - «مائير لاو» - :

«**حيثما ذهبت أقول دائما : إن علينا - بنى البشر - أن نهتم ونرعى أجيال المستقبل من إخوتنا الكبار ، اليهود**» ! . . فوصف اليهود بأنهم «الإخوة الكبار» ! . .

٣ - كذلك قدّم البابا اعتذارًا للبروتستانت ، بسبب دور الكنيسة الكاثوليكية فى حروب مرحلة ما بعد الإصلاح الدينى - الحروب الدينية الكاثوليكية - البروتستانتية (١٥٦٢ - ١٦٢٩م] . .

٤ - وفى ٢٠٠٤م قدّم البابا اعتذارًا للصينيين عن حالات الظلم التى ارتكبتها الكنيسة فى الصين . .

٥ - كما قدّم اعتذارًا للعالم كله عن الغطرسة الكنسية - كما فى «مسألة تأديب «جاليليو» [١٥٦٤ - ١٦٤٢م] . . واضطهاد الفلاسفة والعلماء بواسطة محاكم التفتيش . .

٦ - وحدهم المسلمون - ومعهم الأفارقة والهنود الحمر - الذين لم يقدم البابا لهم أى اعتذار . . لا عن الحروب الصليبية ، التى دامت حملاتها قرنين من الزمان [٤٨٩ -

٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م] ولا عن تحالف الكنيسة مع الإمبريالية الغربية فى الاستعمار لعالم الإسلام. . ودورها فى تنصير المسلمين. . وفى النهب والتدمير لإفريقيا عبر خمسة قرون!. . وفى الإبادة لسكان وحضارات أمريكا وأستراليا ونيوزيلاندا. .

● ولقد زار البابا يوحنا بولص الثانى مصر وسوريا ٢٠٠٠م. .

وفى مصر منعه رهبان دير سانت كاترين ـ فى سيناء ـ وهم من الروم الأرثوذكس ـ من دخول الدير للصلاة ـ لأنه بنظرهم غير مسيحى! ـ فصلى فى الشارع أمام الدير!. . بينما استقبله شيخ الأزهر بالمطار. . وفتح له أبواب مشيخة الأزهر الشريف. .

وعندما زار سوريا، صحبه الرئيس بشار الأسد إلى داخل المسجد الأموى فزار قبر النبى يحيى عليه السلام «يوحنا المعمدان». . ويومئذ رفض البابا زيارة قبر صلاح الدين الأيوبى [٥٣٢ ـ ٥٨٩هـ/ ١١٣٧ ـ ١١٩٣م] ـ وهو فى حرم المسجد الأموى ـ وذلك حتى لا تكون زيارته هذه إشارة اعتذار للمسلمين عن الحروب الصليبية!!. .

***

● وفى عهد بابوية يوحنا بولص الثانى [١٩٧٨ ـ ٢٠٠٥م] تم تعيين جميع الكرادلة فى الكنيسة الكاثوليكية من جديد. .

● وتكونت «أرثوذكسية كاثوليكية جديدة» داخل الكنيسة. . وساد تيار «الخوف من الإبداع». . وكان الكاردينال الألمانى «جوزيف راتزينجر» هو المسئول عن قيادة هذا التيار. .

فلقد تولى ـ على امتداد ربع قرن ـ من ١٩٨١م حتى انتخابه بابا ـ بنديكتوس السادس عشر ـ فى إبريل ٢٠٠٥م ـ منصب «فرض النقاء العقائدى»، الذى هو امتداد لمنصب «المفتش الأكبر». . الذى هو امتداد «لمحاكم التفتيش»!. .

وتولى عمادة كلية الكاردينالات. .

وبتوجيه منه، وتحت قيادته، ضيقت «لجنة الكرادلة لحماية مبادئ الدين» حدود الانشقاق المسموح به. . وتم استدعاء من شك فى أنهم يقوضون الدين إلى روما للخضوع للمساءلة. . وأعلن أن عشرة من الكرادلة لم يعودوا صالحين لتعليم الطلاب الكاثوليك. . وأمر آخرون بمراجعة كتبهم!. .

• وفى ٢٠٠٠م صاغ الكاردينال «راتزينجر» وثيقة «المسيح المهيمن»، التى أعلنها البابا يوحنا بولص الثانى . . والتى أعلن فيها على الملأ «أن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية هى الكنيسة الوحيدة الحقيقية ليسوع المسيح . . وأن الخلاص للكاثوليك دون سواهم».

ـ وهى وثيقة معادية للتعددية الدينية حتى فى إطار المسيحية!! ـ . .

• كما عرف عن الكاردينال «راتزينجر» أنه يؤمن بكنيسة أصولية من الملتزمين . . وليس «بكنيسة شعبية» تضم غير الملتزمين من ذوى الأصول المسيحية . .

***

• وبموت البابا يوحنا بولص الثانى ـ فى إبريل ٢٠٠٥م ـ فقد معظم كبار الرسميين فى الفاتيكان وظائفهم . . ولم يبق سوى القليلين . . ومنهم :

١ ـ الياور «الكاردينال أفسبانى إدواردو» ـ الذى أعلن نبأ وفاة البابا . . وقام بواجبات المدير الانتقالى . .

٢ ـ والكاردينال «جوزيف راتزينجر» ـ الذى ألقى العظة . . وتلا قصة حياة البابا الراحل فى الجنازة . .

• وعند انتخابه بابا ـ بنديكتوس السادس عشر ـ كان اختياره لهذا الاسم ذا دلالة على توجهه الفكرى . . فبنديكت الرابع عشر [١٧٤٠ ـ ١٧٥٨م] كان هو البابا المعادى للعقلانية وللتنوير!! . . وبنديكت الخامس [٤٨٠ ـ ٥٤٧م] كان الراهب والبابا الذى وضع أسس الرهبنة الغربية، التى ضمنت تجذر المسيحية فى الغرب . . والمتبعة حتى الآن . .[1].

• وفى ٢٠٠٤م كان البابا بنديكتوس السادس عشر ـ قبل توليه البابوية . . ومن موقع الرجل القوى فى الفاتيكان ـ قد أدلى بتصريح أعرب فيه عن مناهضته انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبى؛ لأنها دولة مسلمة!![2] . .

---

(١) انظر فيما تقدم من حقائق ووقائع «نيوزويك» ـ الأمريكية ـ أعداد: ١٢ ـ ٤ ـ ٢٠٠٥م، ١٩ ـ ٤ ـ ٢٠٠٥م، ٣ ـ ٥ ـ ٢٠٠٥م، ٢٦ ـ ٩ ـ ٢٠٠٦م، ٢٧ ـ ٢ ـ ٢٠٠٧م.

(٢) صحيفة (المدينة) ـ السعودية ـ ملحق (الرسالة) فى ٦ ـ ١٠ ـ ٢٠٠٦م.

● وفى وصف جنازة البابا يوحنا بولص الثانى ـ إپريل ٢٠٠٥م ـ تحدثت مجلة «نيوزويك» ـ الأمريكية ـ عدد ١٩ ـ ٤ ـ ٢٠٠٥م ـ عن أن المطلوب :

«بابا يواجه الإسلام :

لأن الإرهاب العالمى ـ [الإسلام] ـ يجعل مشكلات شيوعية الكتلة الشرقية بحداثة التليفزيون الأبيض والأسود!

وسيتطلب ظهور الإسلام كقوة ـ فى شكلية الأصولى والمعاصر ـ حبرا أعظم يتمتع بمعرفة لاهوتية ودپلوماسية رفيعة . .

إن على البابا الجديد أن يتعامل مع التحدى الإسلامى فى قلب أوروپا، حيث يشكل المهاجرون المسلمون ونسلهم الآن قوة اجتماعية ودينية جديدة لم يكن على الكنيسة أن تواجهها من قبل»!

وبهذا «الإعلان» عبرت «النيوزويك» عن المهام الجديدة للبابا الجديد فى المرحلة الجديدة . . فدور البابا السابق فى الحرب على الشيوعية لا يقارن بالدور المطلوب من البابا الجديد فى الحرب على الإسلام!! . .

● وعقب تولى الكاردينال «جوزيف راتزينجر» للبابوية ـ البابا بنديكتوس السادس عشر ـ :

١ ـ **ألغى لجنة «حوار الأديان» وسماها «حوار الثقافات»!!** . . وذلك تطبيقًا لوثيقة «المسيح المهيمن»، الرافضة لوجود ديانات حقيقية غير الكاثوليكية!

٢ ـ كما ألغى صدور مجلة «إسلامو كريستيانا»![1].

وعند استقباله لممثلين مسلمين فى مدينة «كولونيا» ـ الألمانية ـ قال لهم :

«إن على المسلمين نزع ما فى قلوبهم من حقد، ومواجهة كل مظاهر التعصب، وما يمكن أن يصدر عنهم من عنف»!![2]

---

(١) أسامة سرايا [الأهرام] ـ مقال «عاصفة بابا الڤاتيكان» فى ١٣ ـ ١٠ ـ ٢٠٠٦م.
(٢) صحيفة [المدينة] ـ السعودية ـ ملحق [الرسالة] ـ فى ٦ ـ ١٠ ـ ٢٠٠٦م.

● كما استقبل ـ فى سبتمبر ٢٠٠٥م ـ الصحفية الإيطالية «أوريانا فالاشى» ـ التى اشتهرت بكتاباتها العنيفة والعنصرية والحاقدة ضد الإسلام والمسلمين![١].

● وفى ١٨ ـ ٤ ـ ٢٠٠٦م نشرت «لوموند» ـ الفرنسية ـ مقالاً للكاتب «هنرى تنك»، تحدث فيه عن «**انشغال البابا بتقدم الإسلام**» . . جاء فيه ـ على لسان البابا ـ :

«إن الإسلام ليس دين توحيد على نمط اليهودية والمسيحية. لا ينتمى إلى الوحى نفسه الذى تنتمى إليه اليهودية والمسيحية. . »![٢].

● كما ألف ـ بالاشتراك مع الكاتب الإيطالى «بيرا» ـ كتابًا عنوانه: [بلا جذور. الغرب. النسبية. الإسلام والمسيحية]. . أعلن فيه عن مخاوفه. . وأهمها ثلاثة مخاوف:

أولها: تراجع معدلات المواليد فى أوروبا المسيحية. . وأن عدة شعوب ـ خصوصًا الألمان والإيطاليين والإسبان ـ ربما لا تعد موجودة قبل نهاية القرن الحالى. . أو تصبح أقليات داخل دولها. .

وثانيها: أن الذين سيحلون محل هذه الشعوب المسيحية الأوروبية المنقرضة هم المهاجرون المسلمون من إفريقيا والعالم العربى. . الأمر الذى يبعث على القلق من احتمال أن تصبح أوروبا جزءا من دار الإسلام فى القرن الواحد والعشرين. .

وثالثها: تحول مسيحية غالبية الأوروبيين إلى مجرد انتماء لأسر كانت مسيحية فى يوم من الأيام»![٣].

● أما على جبهة علاقة البابا بنديكتوس السادس عشر باليهود. . فلقد سار على الطريق الذى سبق للفاتيكان السير فيه. . التقرب لليهود. . والاستجابة لابتزازهم. . طريق «زرع المسيح فى إسرائيل» بدلاً من السعى لاعتراف اليهود بالمسيحية والمسيح!! . .

---

(١) السيد ولد أباه ـ صحيفة [الشرق الأوسط] ـ مقال «البابا والإسلام: الخلفية التاريخية للخطاب» فى ٢١ـ٩ـ٢٠٠٦م.
(٢) د. عمار الطالبى ـ صحيفة [البصائر] ـ الجزائرية ـ فى ١٠ ـ ٧ ـ ٢٠٠٦م.
(٣) صحيفة [الشرق الأوسط] ـ ملحق «منتدى الكتب» فى ٢٦ ـ ٤ ـ ٢٠٠٦م.

ويبدو أن الحبر الأعظم للكاثوليكية ـ وله تاريخ فى الجندية بالجيش النازى ـ يدرك احتمالات الابتزاز اليهودى له بسبب هذا التاريخ . . فرأيناه يتحدث عن اليهود باعتبارهم «إخوتنا الأعزاء» ـ كما سبق وتحدث عنهم سلفه باعتبارهم «**إخوتنا الكبار**»! . . بل لقد بلغ الأمر الحد الذى جعل هذا البابا ـ بنديكتوس السادس عشر ـ عندما كتب كتابًا عن السيدة مريم ـ عليها السلام ـ أن جعل عنوانه : [**ابنة صهيون**]!!!(١) .

* * *

وإذا كان بعض «الواهمين» أو «الجاهلين» أو «المخدوعين» بحوارات الفاتيكان الدينية مع المسلمين، قد صدم بهذا الموقف البابوى من الإسلام . . فإن هذا الموقف الفاتيكانى لم يخرج عن كونه التطبيق لوثيقة «هيمنة المسيح»، التى تحصر الدين السماوى ـ ومن ثم الخلاص ـ فى الكاثوليكية وحدها . .

فالحوار الفاتيكانى مع المسلمين لم يكن سوى جزء من جهود الكنيسة الكاثوليكية لجذب المسلمين فى الحرب الباردة لحساب الغرب «المتدين» ضد الشيوعية «الملحدة» . . ولذلك، لم تقم لهذا الحوار مؤسسات أو مشاركات إلا فى البلاد الإسلامية السائرة فى فلك المعسكر الرأسمالى الغربى . .

ولقد ظل الفاتيكان ـ طوال سنوات هذا الحوار ـ وفى كل مؤتمراته ـ على موقفه الدينى الثابت، الذى لا يعترف بالإسلام دينًا سماويًا . . ولا برسول الإسلام ﷺ نبيًا ورسولاً . . ولا بالقرآن وحيًا إلهيًا . . وإنما يصنف الإسلام ضمن «الديانات الوضعية» ـ أى الثقافات الدينية ـ مثل البوذية والهندوسية والزرادشتية ـ بل ويُجلس وفود المسلمين ـ فى هذه الحوارات ـ إلى جوار وفود هذه الديانات غير السماوية!!

وفى المرات التى طُلب من ممثلى الفاتيكان الاعتراف بسماوية الإسلام وألوهيته، جاء الرفض الفاتيكانى ـ ومعه مجلس الكنائس العالمى ـ صريحًا وقاطعًا . . كما حدث فى مؤتمر الحوار الإسلامى المسيحى، الذى عقد بالقاهرة ـ فى فندق «شيراتون هليوبوليس» فى ٢٨، ٢٩ أكتوبر ٢٠٠١م . . بدعوة من «المنتدى العالمى للحوار» ـ

---

(١) د. عطاء الله مهاجرانى ـ صحيفة [الشرق الأوسط] مقال «البابا وحديثه : من العصمة إلى التبسيط الساذج» فى ٢٦ ـ ٩ ـ ٢٠٠٦م.

بجدة ـ و «مؤتمر العالم الإسلامى» ـ . . فلقد رفض مندوب الفاتيكان ـ القس خالد أكشة ـ ومندوب مجلس الكنائس العالمى ـ الدكتور طارق مترى ـ التوقيع على البيان الختامى للمؤتمر؛ لأن فيه عبارة «الديانات السماوية. والقيم الربانية» قائلين: نحن لا نعترف بالإسلام دينًا سماويًا، ولا بالقيم الإسلامية قيمًا ربانية!![1].

ولقد تكرر هذا الإعلان ـ صراحة ـ على لسان القس الكاثوليكى «كريستيان فانيسبن» فى الحوار المسجل والمذاع ـ على الهواء ـ بإذاعة الـ B. B. C ـ القسم العربى ـ من مكتب القاهرة ـ فى يوم الأحد ١٧ ـ ٩ ـ ٢٠٠٦م ـ فى برنامج «حديث الساعة»، عندما قال: نحن لا نعترف بأن الإسلام دين سماوى! . .

***

● ولقد انطلق البابا بنديكتوس السادس عشر فى التخويف من الإسلام، من الواقع الدينى الذى تواجهه البابوية فى أوروبا والغرب. . واقع التراجع المسيحى مقارنا بواقع صعود الإسلام. . حيث:

ـ يسلم فى أمريكا سنويًا ٢٠,٠٠٠ ـ رغم التضييق على الإسلام، الذى حدث عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م. .

ـ ويسلم فى أوروبا ـ سنويًا ـ ٢٣,٠٥٨ ـ بمعدل ٦٣ يوميًا . .

ـ بينما الذين يعتقدون بوجود إله فى أوروبا المسيحية ١٤٪.

ـ والذين يذهبون إلى القداس فى فرنسا ـ أكبر بلاد الكاثوليكية الأوروبية ـ ٥٪ ـ أى أن الإسلام ـ فى فرنسا ـ (٥,٠٠٠,٠٠٠) هو الدين الأول، وفق هذا الإحصاء!! . .

● أما حال الكنائس:

ـ فهناك نقص فى الرهبان ـ بسبب العزوف عن العزوبة ـ . . ففى أوروبا: راهب واحد لكل ١,٢٠٠ ـ وفى إفريقيا: راهب واحد لكل ٤,٠٠٠ .

ـ وشيوع الشذوذ الجنسى بين رجال الدين وبين الأطفال! . . ولقد فتحت المخابرات

---

(١) صحيفة [الأسبوع] ـ القاهرة ـ فى ٥ ـ ١١ ـ ٢٠٠١م. وصحيفة [العالم الإسلامى] ـ مكة ـ فى ١٦ ـ ١١ ـ ٢٠٠١م. وصحيفة [عقيدتى] ـ القاهرة ـ فى ٦ ـ ١١ ـ ٢٠٠١م.

الأمريكية «ملفات» هذا الشذوذ فى الكنائس الكاثوليكية الأمريكية، للضغط على الفاتيكان، وابتزازه عندما عارض السعى الأمريكى المحموم لغزو العراق ٢٠٠٣م.

- وفى أمريكا الشمالية انخفض حضور قداس الأحد بنسبة ٤٠٪ عن خمسينيات القرن العشرين.. وثلثهم هم الذين يداومون على حضور القداس الأسبوعى.. وكانوا ضِعفَىْ هذا العدد قبل جيل من الزمان..

- و ٧٠٪ من كاثوليك الولايات المتحدة يطلبون السماح باستخدام موانع الحمل - على خلاف موقف الكنيسة..

- و ٧٠٪ من كاثوليك روما - حيث الفاتيكان - يوافقون على ممارسة الجنس قبل الزواج!..

- ولقد شرّعت حكومة بلدية «بوينس أيرس» - عاصمة الأرجنتين - زواج المثليين!

- ووافقت حكومات أمريكا اللاتينية على قانون الطلاق.. وعلى دعم اختيار المرأة فيما يتعلق بالإجهاض..

- والتحول من الكاثوليكية إلى الكنائس المشيخية والپروتستانتية والإنجيلية يتزايد فى دول أمريكا اللاتينية..

- وفى استطلاع أجرته مؤسسة «جالوب» - فى إبريل ٢٠٠٥م - ظهر أن ٧٤٪ من الكاثوليك يتصرفون - فى المسائل الأخلاقية - بناء على ضميرهم، وليس بناء على تعاليم الكنيسة.. و ٢٠٪ هم الذين يتصرفون أخلاقيًا بناء على تعاليم الكنيسة!..

***

● وفى مقابل هذا الواقع المسيحى - الذى يقلق البابا والفاتيكان - يبرز الواقع الإسلامى، الذى يعلن امتياز الإسلام، ونجاعة الحلول الإسلامية..

- ففى جنوب إفريقيا - أغنى بلاد القارة السمراء - هناك ٥٠٪ من السكان مصابون بطاعون العصر - الإيدز.

- بينما لا أثر لهذا الطاعون فى الصومال المسلمة - وهى أفقر بلاد هذه القارة -!..

ـ بل إن المسلمين ـ حتى فى جنوب إفريقيا ـ بعيدون عن الإيدز ! . .

ـ وفى البلاد الغربية المسيحية ـ حيث أعلى مستويات المعيشة والإشباع للشهوات والغرائز فى العالم ـ هناك أعلى نسبة من القلق والانتحار فى العالم ! . .

ـ بينما لا يوجد فى البلاد الإسلامية ـ رغم الفقر الذى يطحن مئات الملايين ـ أى أثر للانتحار ! . .

ـ وكذلك الحال عند المقارنة بين انتشار الاكتئاب والاغتراب وعيادات الأمراض النفسية فى البلاد المسيحية . . وندرة ذلك فى البلاد الإسلامية ! . .

ـ وإذا كان الشمال المسيحى ـ وفيه ٢٠٪ من سكان الأرض ـ يستهلك ٨٦٪ من خيرات هذا العالم . . فإن أكبر ثلاث تجارات فى هذا الشمال المسيحى هى :

أولا : تجارة السلاح . . **وثانيا** : تجارة المخدرات . . **وثالثا** : تجارة الدعارة ! !

وجميع هذه الوقائع والحقائق ـ وأمثالها ـ شاهدة صدق على إفلاس الكنائس المحلية ـ التى خانت مسيحيتها ـ . . وعلى صعود الإسلام . . بذاته . . رغم الحال البائس لكثير من حكام عالمه ! . . وعلى ظهور الحلول الإسلامية على جميع ما عداها من الحلول ! . .



ـ ٢ ـ

عداء.. وافتراءات لها تاريخ

لهذا كله . . جاءت محاضرة بابا الفاتيكان ـ بنديكتوس السادس عشر ـ في جامعة «ريجنسبورج» ـ الألمانية ـ في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م ـ والتي فجرت الغضب الإسلامي ـ جاءت ـ هذه المحاضرة ـ في سياق من الحقائق والوقائع ـ التاريخية . . والمعاصرة ـ يغفل عنها الكثيرون . . كما جاءت صادمة للمشاعر الإسلامية ؛ بسبب حدتها . . ولما حوته من الأكاذيب والمغالطات والجهالات ، التي لا يتصور صدورها من «أستاذ للفلسفة» يتولى منصب الحبر الأعظم لحاضرة الكاثوليكية بالفاتيكان . . عندما يتحدث عن دين ـ كالإسلام ـ يتدين به مليار ونصف المليار من المسلمين . .

● لقد كان موضوع محاضرة البابا عن «علاقة العقل بالإيمان» في المسيحية . . لكن الغريب ـ بل والعجيب والمريب ـ أن الرجل قد بدأ محاضرته بالهجوم على الإسلام ! . . بل ولقد استغرق هذا الهجوم على الإسلام ربع هذه المحاضرة ! ! ـ مائة سطر من أربعمائة سطر ، هي جملة سطور النص الكامل للمحاضرة ـ ! ![1] .

● وكان أخطر ما في هذه المحاضرة ، ليس اقتباس البابا من الإمبراطور البيزنطي «مانويل الثاني» [١٣٩١ ـ ١٤٢٥م] ـ كما حسب كثير من المعلقين ـ وإنما تعليقات البابا على الاقتباس ! . .

لقد استشهد البابا بكلمات الإمبراطور البيزنطي ـ في معرض ربط الجهاد الإسلامي «بالحرب المقدسة المسيحية» . وأورد الكلمات التي قال فيها هذا الإمبراطور لأحد المثقفين الفرس المسلمين :

(١) لقد اعتمدنا في تحليل هذه المحاضرة ونقدها على النص الأصلي والكامل الذي نشرت ترجمته العربية صحيفة غير متهمة ، هي [وطني] ـ المسيحية ـ انظر عدد ٢٤ ـ ٩ ـ ٢٠٠٦م .

«أرنى ما الذى أتى به محمد من جديد؟! . فهنا ستجدون أشياء شريرة وغير إنسانية، مثل أمره بنشر العقيدة التى دعا إليها بحد السيف».

ولقد وصف البابا الإمبراطور «مانويل الثانى» بالموسوعى! . . وأغفل ذكر رد المثقف الفارسى المسلم على هذا الإمبراطور! . . ثم مضى ـ معلقًا . . ومؤيدًا ـ فقال:

«لا بد أن الإمبراطور كان يعرف أن السورة ٢ آية ٢٥٦ تنص على أنه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ . وهى إحدى سور العصور الأولى من تاريخ الإسلام، عندما كان محمد لا يزال مهددًا، وتعوزه القوة.

ولكن من الطبيعى كذلك ـ بالنسبة للإمبراطور ـ أن يكون قد عرف التعليمات «أوامر اللثام» بشأن الحرب المقدسة، والتى ذكرت لاحقًا ودونت فى القرآن».

● وفى إطار كلام البابا عن علاقة العقل بالإيمان ـ فى المسيحية والإسلام ـ قال:

«إن القول الفصل فى النقاش حول التحول العقائدى باستخدام العنف، هو أن عدم التصرف وفقًا للعقل هو أمر مناهض لطبيعة الرب.

ولكن بالنسبة للتعاليم الإسلامية فإن الرب مطلق السمو، فمشيئته لا تتماشى مع أى من خصائصنا بما فيها العقلانية . . ولقد ذهب ابن حزم إلى حد الإقرار بأن الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وأنه ما من شىء يلزمه بكشف الحقيقة لنا.

ففيما يتعلق بإرادة الله، فإنه ينبغى علينا التعبد بشكل وثنى أعمى»!!

❋❋❋

كانت تلك هى أبرز نقاط المغالطات والافتراءات التى وردت عن الإسلام فى محاضرة بابا الفاتيكان . . والتى إن أثارت الغضب فى جماهير الأمة الإسلامية . . فإنها تستوجب النظر العلمى الموضوعى والهادئ والصبور فى الحوار مع «أستاذ الفلسفة»، عظيم الفاتيكان.

وإذا كانت مجلة «نيوزويك» ـ الأمريكية ـ قد استنكرت ما جاء بمحاضرة البابا عن الإسلام . . وجعلت عنوان غلافها ـ عدد ٢٦ ـ ٩ ـ ٢٠٠٦م ـ: «**بنديكتوس السادس عشر . . ماذا دهاه؟!**» . . ثم وصفت طريقته ـ فى هذا التناول للإسلام ـ بأنها « **طريقة**

خرقاء»! . . فإننا نختلف معها فى هذا التوصيف . . فالأمر ليس مجرد «حماقة» . . وإنما هو موقف له تاريخ طويل من العداء للإسلام! . .

إنه فصل جديد ـ ولن يكون الأخير ـ فى فصول العداء للإسلام، والافتراء على مقدساته ورموزه وأمته وحضارته . . يأتى بعد عام من أحداث الرسوم الدانماركية، التى أساءت إلى رسول الإسلام ﷺ . . وممن؟ . . من عظيم الفاتيكان . . وليس من صحفى دانماركى نشر رسومه فى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م . .

● لقد تحدث البابا ـ بنديكتوس السادس عشر ـ فى هذه المحاضرة . . فأساء إلى إله المسلمين ورب العالمين، عندما ادعى أن المشيئة الإلهية ـ فى الإيمان الإسلامى ـ متسامية ومطلقة، لا تتقيد بالعقل ولا بالمنطق . . الأمر الذى يجعل الإيمان الإسلامى ـ برأى البابا ـ إيمانًا وثنيًا أعمى!! . .

● وعندما أراد الحديث عن رسول الإسلام ﷺ اختار ـ واختيار المرء قطعة من عقله ـ عبارات الإمبراطور البيزنطى «مانويل الثانى» [١٣٩١ ـ ١٤٢٥م] التى تفترى على رسول الإسلام، فتزعم أنه لم يأت إلا بما هو شرير وسيئ ولا إنسانى . . ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف!!

● وانطلاقًا من ذلك قارن البابا بين مسيحيته وبين الإسلام . . فادعى عقلانية المسيحية ولا عقلانية الإسلام! . .

● كما اتهم الإسلام بالتأسيس للعنف والإرهاب ـ واتهم المسلمين بهما . .

● كما خلط بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب الدينية المقدسة ـ التى عرفتها ومارستها الكنيسة الكاثوليكية الغربية . .

***

ورغم الدهشة والغضب اللذين يشعر بهما، لا المسلمون وحدهم، بل والمنصفون من غير المسلمين، الذين عرفوا الإسلام . . بل وحتى المحايدون الذين يفترضون ضرورة الأدب والكياسة فى الحديث عن الديانات . . رغم كل ذلك، فإن الموضوعية يجب أن تكون المعيار الأول فى الرد على هذه الإساءات والمغالطات . .

إن الغضب لله ولرسوله ولدينه أمر مشروع . . بل ومطلوب . . لكن الإسلام يعلمنا أن يمين الغاضب لا تنعقد، وأن قضاء الغاضب لا يجوز؛ لأن الغضب قطعة من الجنون . . ومن ثم فإن العقلانية والموضوعية هى التى يجب أن تحكم الرد على هذه الإساءات . . وتحكم الحوار مع عظيم الڤاتيكان .

● وفى البداية . . ولتبديد الاستغراب والاندهاش اللذين أصابا الكثيرين من هذا الذى صنعه الحبر الأعظم للكاثوليكية، المتربع على عرش بابوية الڤاتيكان . . أقول : **إنه لا غرابة فى حدوث هذا الأمر الغريب؟!** . .

فهذا الرجل ـ الذى تولى البابوية فى إبريل ٢٠٠٥م، قد شغل ـ فى الڤاتيكان ـ لأكثر من ربع قرن ـ من ١٩٨١م حتى ٢٠٠٥م ـ منصب المسئول الأول عن «النقاء العقائدى»، أى قيادة «الأصولية الأرثوذكسية الكاثوليكية»، التى تقسم العالم إلى مؤمنين كاثوليك حقيقيين . وإلى من يعتنقون «بعض عناصر الإيمان» . . أى أنه ـ بالمعنى الشائع فى الشرق ـ كان يتولى زعامة ومسئولية «التكفيريين» فى الإطار الكاثوليكى! . . الأمر الذى يرسم صورته وصورة مواقفه ضد الآخرين من غير الكاثوليك! . . ويرسم صورة مؤسسته فى هذه المرحلة من التاريخ . .

ـ وهو من هذا المنطلق «الأصولى ـ التكفيرى» عدو لدود للعلمانية، التى جعلت أكبر البلاد الكاثوليكية فى أوروپا ـ فرنسا ـ لا يذهب فيها إلى القداس سوى ٥٪ من السكان الكاثوليك! . . أى أن تعداد الكاثوليك الفرنسيين ـ بمقاييس هذا البابا ـ هم أقل من تعداد المسلمين الفرنسيين! . .

● وهذا المنصب الذى تولاه لأكثر من ربع قرن ـ قبل توليه البابوية ـ منصب «المفتش الأكبر» ـ رئيس مجمع عقيدة الإيمان ـ هو ـ فى الكنيسة الكاثوليكية ـ الامتداد المعاصر «لمحاكم التفتيش»، التى احترفت ـ فى العصور الوسطى الأوروپية ـ التفتيش عن العقائد، وممارسة الحرق والخنق والإغراق ضد العلماء والمفكرين والفلاسفة والمخالفين . . وضد المسلمين بعد إسقاط غرناطة واقتلاع الإسلام من الأندلس ١٤٩٢م . . والتى مارست إعدام هؤلاء المخالفين على «الخازوق المقدس» لمدة ثلاثة قرون! . . والتى بلغ ضحاياها عدة ملايين . .

● بل إن اختيار هذا الرجل - واسمه قبل البابوية «جوزيف راتزينجر» - لاسمه البابوى - بنديكتوس السادس عشر - له - كما أسلفنا - معنى وثيق الصلة بهذا التوجه «الأصولى - التكفيرى» فى الموقف من الآخرين . . فالبابا بنديكتوس الرابع عشر [١٧٤٠ - ١٧٥٨م] - فى القرن الثامن عشر - كان عدوّاً للعقلانية ولمنهج الشك اللذين قامت عليهما حركة التنوير الأوروبية . . وقبل ذلك - فى القرن السادس - كان القديس البابا بنديكت الخامس [٤٨٠ - ٥٤٧م] هو مؤسس الأديرة والرهبانية التى ساعدت على بقاء الحضارة المسيحية فى أوروبا . . وهو واضع دستور الرهبانية المتبع حتى الآن فى الحضارة الغربية . .

فحتى الاسم - بنديكتوس - الذى اختاره هذا البابا - له توجهات أصولية - بالمعنى الغربى - وله دلالات . . وله تاريخ ! . .[١] .

● وفيما يتعلق بما جاء من الإساءات للإسلام - فى محاضرته بجامعة «ريجنسبورج» فى مدينة «رايتسبون» الألمانية - فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م - فإن هذا لم يكن - كما أسلفنا - بداية إساءاته إلى الإسلام . .

- فالرجل له تاريخ فى «الخوف والتخويف» من الإسلام - ذلك الذى أصبح اتجاهًا فى الغرب يسمونه «الإسلام فوبيا Islamphobia» . . ففى حوار بينه وبين السياسى الإيطالى البارز «مارسيلو بيرا» - نشر فى كتاب عنوانه : **[بلا جذور : الغرب ، النسبية ، الإسلام والمسيحية]**[٢] يعلن هذا البابا أنه تسيطر عليه مخاوف ثلاثة :

أولها : الانقراض السكانى للأوروبيين المسيحيين - بسبب العلمنة التى أشاعت الأنانية وتفكك الأسرة ، فانخفضت الخصوبة والمواليد - أحيانًا إلى أقل من ١٪ - «ذلك أن معدلات المواليد فى غالبية الدول الأوروبية تراجعت ، الشىء الذى أثر على استمرار التوازن السكانى . . وجعل عدة شعوب أوروبية ، خصوصًا الألمان والإيطاليين والإسبانيين ، ربما لا تعود موجودة قبل نهاية القرن الحالى» أو فى - أحسن الأحوال والتكهنات - تصبح - هذه الشعوب - أقليات داخل دولها .

---

(١) نيوزويك - الأمريكية - عدد ٣ - ٥ - ٢٠٠٥م .

(٢) انظر : صورة غلاف هذا الكتاب فى ملحق الوثائق ص١٢٢ .

وثانى هذه المخاوف البابوية هو: «أن المكان الذى تتركه الأجيال الأوروبية الجديدة شاغرا يملؤه المهاجرون المسلمون، خصوصًا من إفريقيا والعالم العربى.. الأمر الذى يفتح الباب لاحتمال أن تصبح أوروبا مستقبلاً جزءًا من دار الإسلام»!!..

وثالث هذه المخاوف البابوية هو: «تراجع المسيحية من الفضاء الأوروبى.. فبسبب العلمانية «أصحبت مسيحية غالبية الأوروبيين تقتصر على انتماء الأسرة التقليدى للمسيحية» ـ أى مسيحيون بحكم النسب والتاريخ!! ـ الأمر الذ أدى ـ برأى البابا ـ إلى «افتقار أوروبا إلى القدرة والرغبة والشجاعة الأخلاقية فى القتال من أجل أى شىء، حتى حريتها»!!(١)

هكذا ينظر البابا ـ بنديكتوس السادس عشر ـ إلى الإسلام، فيراه الوارث لمسيحيته وكنيسته.. الذى سيجعل أوروبا ـ وهى قلب العالم المسيحى ـ قبل نهاية هذا القرن ـ «**جزءًا من دار الإسلام**» ـ كما سبق وجعل الشرق ـ الذى كان قلب العالم المسيحى ـ قلبًا لعالم الإسلام!!..

ولقد انعكس هذا الخوف البابوى من الإسلام فى صور تعلن عداءه لهذا الدين، وافتراءه عليه، وإساءته لعقائده ورموزه ومقدساته ـ حتى قبل هذه المحاضرة التى فجرت غضب المسلمين ـ. فالإسلام، الذى يبلغ القمة فى التنزيه للذات الإلهية عن التعدد والحلول والاتحاد والتجسيم والتشبيه.. والذروة فى التوحيد الخالص لهذه الذات الإلهية ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④**﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤] ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١].. و «كل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك».

هذا الإسلام، الذى تلخصه كلمة التوحيد، وتعبر عن شعاره شهادة أن لا إله إلا الله. يقول عنه البابا: «**إنه ليس دين توحيد على نمط اليهودية والمسيحية، لا ينتمى إلى الوحى نفسه الذى تنتمى إليه اليهودية والمسيحية**»!!(٢).

---

(١) انظر عرض هذا الكتاب فى الملحق الثقافى لصحيفة [الشرق الأوسط] ـ «منتدى الكتب» عدد ٢٦ ـ ٤ ـ ٢٠٠٦م. وانظر صورة الغلاف فى ملحق الوثائق صفحة ١٢٢ من هذا الكتاب.

(٢) هنرى تنك [لوموند] ـ الفرنسية ـ فى ١٨ ـ ٤ ـ ٢٠٠٦م ـ والنقل عن: د. عمار الطالبى [البصائر] ـ الجزائرية ـ فى ١٠ ـ ١٧ يوليو ٢٠٠٦م.

فالتوحيد ـ برأى البابا ـ موجود فى اليهودية، التى جعلت الله خاصًا ببنى إسرائيل، وللشعوب الأخرى آلهتها! . . وموجود فى المسيحية ـ التى تقول بالتثليث . . وتعبد عيسى بن مريم ـ باعتباره الرب ـ وتقول عنه: إنه «الألف والياء، والبداية والنهاية»، القادر على كل شىء . . خالق كل شىء، وبه كان كل شىء . . وبدونه لم يكن شىء مما كان»!! ـ [يوحنا: ١: ٣، ١١].

أما الإسلام، الذى يجعل الواحدية والأحدية فقط للذات الإلهية، وينزهه عن المثيل والند والشريك والشبيه والصاحبة والوالد والولد . . فهو ـ بنظر البابا بنديكتوس ـ ليس دين توحيد! . .

● وإذا كان الكاردينال «جوزيف راتزينجر» قد اتخذ لنفسه اسمًا بابويًا ينم عن التوجهات المحافظة والأصولية ـ بالمعنى المسيحى الغربى ـ فإن عداءه هذا للإسلام . . وإعلانه السافر لهذا العداء . . واتخاذ هذا العداء صور الإساءة والتهجم . . هو الآخر له تاريخ . . بل وتاريخ طويل ملىء بثقافة الكراهية السوداء للإسلام والمسلمين . .

ـ ففى تراثه الكاثوليكى، يقول أبرز قديسى وفلاسفة الكاثوليكية ـ فى العصور الأوروبية الوسطى ـ «توما الأكوينى» [١٢٢٥ ـ ١٢٧٤م] عن رسول الإسلام ﷺ:

«لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية . . وحرّف جميع الأدلة الواردة فى التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التى كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون فى البادية»![١].

ـ وفى التراث الفنى والأدبى الكاثوليكى الأوروبى ـ تراث بابا الفاتيكان ـ وضع «دانتى» [١٢٩٥ ـ ١٣٢١م] ـ صاحب «الكوميديا الإلهية» ـ رسول الإسلام ﷺ وعلى بن أبى طالب رضي الله عنه **«فى الحفرة التاسعة، فى ثامن حلقة من حلقات جهنم؛ لأنهم ـ بنظر دانتى ـ من أهل الشجار والنفاق، الذين تقطعت أجسادهم فى سعير الكوميديا الإلهية»!**[٢].

---

(١) هوبرت هيركومر، جيرنوت روتر [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ص٣٢، ٣٣ . ترجمة: ثابت عيد ـ طبعة القاهرة ـ نهضة مصر ١٩٩٩م.
(٢) المرجع السابق: ص٢٤ .

ـ وفى تراث البابا ـ الذى يتهم الإسلام بأنه ليس دين توحيد ـ تزعم «ملحمة رولاند» ـ الشعبية ـ التى نظمت حوالى ١٣٠٠ م ـ **أن المسلمين يعبدون ثالوث :**

١ ـ أپولين ـ Apollin

٢ ـ وتيرڤاجانت ـ Tervagant

٣ ـ ومحمد ـ Mohamed(١)

● وبشهادات علماء الغرب، الذين قارنوا بين حقيقة الإسلام وبين الصورة البائسة والكريهة والشوهاء التى صنعتها المسيحية الغربية لهذا الإسلام . . فإن الخيال الغربى المسيحى المريض قد أطلق لنفسه العنان فى تشويه صورة الإسلام ـ ليشحن العامة والغوغاء فى الحروب الصليبية التى شنتها الكنيسة الغربية لإعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامى ـ . .

يشهد على هذه الحقيقة المستشرق الفرنسى «مكسيم رودنسون» [١٩١٥ ـ ٢٠٠٤م] فيقول :

«لقد حدث أن الكُتّاب اللاتين، الذين أخذوا بين ١٠٠٠م و ١١٤٠م على عاتقهم إشباع حاجة الإنسان العامى، يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد، دون أى اعتبار للدقة، فأطلقوا العنان «لجهل الخيال المنتصر» ـ كما جاء فى كلمات «ر. وساوثرن» ـ فكان محمد (فى عرفهم) : ساحرًا، هدم الكنيسة فى إفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية . . وكان محمد (فى عرف تلك الملاحم) ـ هو صنمهم الرئيسى، وكان معظم الشعراء الجوالة يعتبرونه كبير آلهة السراسنة ـ [البدو] ـ وكانت تماثيله (حسب أقوالهم) تصنع من مواد غنية، وذات أحجام هائلة» !(٢) .

وبشهادة المستشرق الإيطالى «فرانشسكو جابرييلى» :

---

(١) المرجع السابق : ص٢٥، ٢٦ .

(٢) مكسيم رودنسون [الصورة العربية والدراسات العربية الإسلامية] بحث منشور بكتاب [تراث الإسلام] ـ بإشراف «شاخت» و «بوزورت» القسم الأول ص٢٧، ٢٨ . ترجمة : د. محمد زهير السمهورى. مراجعة : د. شاكر مصطفى. طبعة الكويت ١٩٧٨م. وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤، ص٦٤ .

«فلقد كانت العصور الوسطى الغربية تنظر إلى ظهور الإسلام وانتشاره باعتباره تمزقًا شيطانيًا فى صدر الكنيسة المسيحية، وانشقاقًا مشئومًا قام به شعب بربرى»!(١).

وبشهادة المفكر الألمانى «هربرت هيركومر» - فى دراسته عن [صور الإسلام فى الأدب الوسيط] -:

«فإن الأوروبيين ادّعوا أن رسول الإسلام كان كاردينالاً كاثوليكيا، تجاهلته الكنيسة فى انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة فى الشرق انتقاما من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية - فى القرون الوسطى - محمدا المرتد الأكبر عن المسيحية، الذى يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية»(٢).

وبشهادة المستشرقة الألمانية دكتورة «سيجريد هونكة»:

«فلقد استقر فى أذهان السواد الأعظم من الأوروبيين الازدراء الأحمق الظالم للعرب، الذى يصمهم جهلاً وعدوانًا بأنهم «رعاة الماعز والأغنام، الأجلاف، لابسو الخرق المهلهلة.. وعبدة الشيطان، ومحضرو أرواح الموتى، والسحرة، وأصحاب التعاويذ وأعمال السحر الأسود، والذين حذقوا هذا الفن، واستحوذ عليهم الشيطان، تحرسهم فيالق من زبانيته من الشياطين.. وقد تربع على عرشهم الذهبى «ما هو مد». «مخميد» - وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بشرية يذبحها أتباعه قربانًا وزلفى إليه»!

«فهم الكفرة الفجرة، الذين لا يدينون بالمسيح أو الله؛ لأنهم لم يعبدوه بعد.. فهم ليسوا سوى ديدان حقيرة.. وسفلة أوغاد.. أعداء الله.. وأعداء المسيح.. مستبيحو قبر المسيح»!..

«وحسب وصف «جى. توينبى» [١٨٨٩ - ١٩٧٥م]: «فهم غير متحضرين.. وخلق غريب مستبعد من العالم الهللينى، أو المتطفلين على الحضارة الهللينية الإغريقية.. أولئك المحمدون البدائيون.. وأقصى القول فيهم: إنهم تقليد بربرى جاهل زائف لديانة السريان الغربية عنهم، وهم - لبدائيتهم وقصورهم - لا يسعون إلى اعتناق النصرانية»!(٣).

---

(١) [الإسلام فى عالم البحر المتوسط] - المصدر السابق - ص١٠٤، ١٠٥.

(٢) [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ص٢٣، ٢٤.

(٣) سيجريد هونكة [الله ليس كذلك] ص٨، ١١، ٤، ١٩، ٢٣. ترجمة: د. غريب محمد غريب. طبعة القاهرة ١٩٩٥م.

«ولقد صورت الكنيسة الأوروبية رسول الإسلام ساحرًا كبيرًا . . وصورت «قرطبة» ـ فى الأندلس ـ وطن عباد الشيطان، المتوسلين بالموتى، الذين قدموا لمحمد الصنم الذهبى الذى كانت تحرسه عصبة من الشياطين، تضحية بشرية»!! «فبلاد الإسلام هى عالم الخرافات والأساطير، عبدة الشيطان، والسحرة المتضرعين إلى الشيطان. . بلاد الأضاحى البشرية من أجل صنم ذهبى، تسهر على سلامته عصبة من الشياطين، اسمه محمد»!![1].

«ولقد نظم شاعر الكنيسة القسيس «كونراد» ١٣٠٠م ـ فى ريجنز بورج ـ «ملحمة رولاند». . التى وصف فيها المسلمين بأنهم «الشعب الذى لا يروى تعطشه لسفك الدماء، والذى لعنه رب السماء. . فهم كفرة وكلاب. . وخنازير فجرة. . وهم عبدة الأصنام التى لا حول لها ولا قوة. . الذين لا يستحقون إلا أن يقتلوا وتطرح رممهم فى الخلاء، فهم إلى جهنم بلا مراء»!

«وفى هذه الملحمة الشعبية يخاطب القس «كونراد» الشعب المسلم، فيقول: «إن مخمت ـ [محمد] ـ قد أرسلنى إليك لأطيح رأسك عن كتفيك وأطرح للجوارح جثتك، وأمتشق برمحى هامتك. ولتعلم أن القيصر قد أمر كل من يأبى أن تعمده الكنيسة «ليس له إلا الموت شنقًا، أو ضربًا، أو حرقًا». إن أولئك جميعًا دون استثناء حزب الشيطان اللؤماء، خسروا الدنيا والآخرة، وحل عليهم غضب الله، فبطش بهم روحًا وجسدًا، وكتب عليهم الخلود فى جهنم أبدًا»!![2].

أما البابا الذهبى «أوربان الثانى» [١٠٨٨ ـ ١٠٩٩م] ـ الذى أشعل نيران الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين ـ فهو الذى خطب فى فرسان الإقطاع الأوروبيين يحثهم على الحرب المقدسة ضد المسلمين، فقال: «أى خزى يجللنا وأى عار، لو أن هذا الجنس من الكفار، الذى لا يليق به إلا كل احتقار، والذى سقط فى هاوية التعرى عن كرامة الإنسان، جاعلاً من نفسه عبدًا للشيطان، قد قُدر له الانتصار على شعب الله المختار»!![3].

---

(١) سيجريد هونكة [العقيدة والمعرفة] ص ١٦١، ١٦٢، ٩٩ . ترجمة: عمر لطفى العالم. طبعة دمشق ١٩٨٧م.
(٢) [الله ليس كذلك] ص٤٤ .
(٣) المرجع السابق: ص٢٣ .

نعم. . هذه هى صورة الإسلام. . ورسوله ﷺ . . وصورة المسلمين فى تراث أوروبا الكاثوليكية. . والتى نافستها فيه أوروبا البروتستانتية، تلك التى تحدث بلسانها كبيرها «مارتن لوثر» [١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م] عن القرآن الكريم فقال: «إنه كتاب بغيض وفظيع وملعون، ومليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع! . . وإن إزعاج محمد، والإضرار بالمسلمين يجب أن تكون المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرف المسيحيين عليه. . وإن على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد، حتى يزداد المسيحيون عداوة له، وأيضا ليقوى إيمانهم بالمسيحية، ولتضاعف جسارتهم وبسالتهم فى الحرب ضد الأتراك المسلمين، وليضحوا بأموالهم وأنفسهم فى هذه الحروب»!! . .

أما صورة رسول الله ﷺ الرحمة المهداة. . والنور والبشير للعالمين. . فإنها ـ عند رأس البروتستانتية ـ وبألفاظه ـ صورة «خادم العاهرات وصائد المومسات»!![١].

❊ ❊ ❊

وإذا كان المرء يعجب كل العجب من أن يبلغ «الخيال المظلم والمريض» بالكنيسة الأوروبية ـ بابواتها. . وقساوستها. . وشعرائها. . وعوامها ـ هذا المستوى الغريب والعجيب والمريب فى الافتراء على الإسلام والمسلمين. . فإن هذا العجب يتزايد عندما يرى هذا التراث من ثقافة الكراهية السوداء، لا يزال باقيًا. . وفاعلاً. . دون نقد أو مراجعة. . بل يراه فاعلاً وموجهًا لبابا الفاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ بنديكتوس السادس عشر ـ فى القرن الواحد والعشرين!! . .

❊ ❊ ❊

ويا ليت الأمر قد وقف عند هذا البابا ـ ذى التوجهات المحافظة والأصولية ـ بالمعنى الغربى ـ وإنما الأدهى والأمر أننا أمام تراث من العداء للإسلام والافتراء على رموزه ومقدساته، يحرك هذه المؤسسة الكبرى التى يتربع على عرشها هذا البابا. .

فهذه الكنيسة هى التى هيجت أوروبا، وأعلنت وقادت أولى الحروب العالمية على الإسلام ـ الحروب الصليبية ـ التى دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م]. .

(١) [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ص٢١ .

● وهى التى زكّت وصمتت صمت الرضا - بل وشاركت بالتنصير - فى الغزوات الأوروبية الحديثة لاستعمار العالم الإسلامى على امتداد القرون الخمسة الممتدة من إسقاط غرناطة والأندلس ١٤٩٢م وحتى هذه اللحظات! . .

● وهى التى أرسلت «كريستوفركولمبس» [١٤٥١ - ١٥٠٦م] ليجمع الذهب - بعد إبادة سكان الأمريكتين - لإعداد حملة صليبية جديدة ضد عالم الإسلام، لإعادة اغتصاب القدس وفلسطين!! . . ويومها كتب «كولمبس» إلى البابا «إسكندر السادس» [١٤٩٢ - ١٥٠٣م] فقال:

«لقد اضطلعت بهذه المهمة - [الرحلات إلى أرض الذهب فى أمريكا] - لننفق ما سوف نكسبه منها فى رد الديار المقدسة. وبعد أن ذهبت إلى هناك، ورأيت الأرض كتبت إلى الملك «فرديناند» [١٤٧٩ - ١٥١٦م] والملكة «إيزابيلا» [١٤٧٤ - ١٥٠٤م]: إنه منذ ذلك اليوم، وعلى مدار سبع سنوات، سوف أحتاج إلى خمسين ألفًا من الجنود المشاة، وخمسة آلاف فارس لفتح الديار المقدسة»!![١] .

● وهى التى أرسلت «فاسكو دى جاما» [١٤٦٩ - ١٥٢٤م] ليلتف حول العالم الإسلامى. . تمهيدًا لضرب قلب العالم الإسلامى ١٤٩٧م. .

● وهى التى أرسلت «ماجلان» [١٤٨٠ - ١٥٢١م] ليحارب المسلمين فى الفيلپين ١٥٢١م. . ولتنصير الفيلپين - التى كانت مسلمة. . واسم عاصمتها «أمان الله»! . .

● وهى التى أعلن مطرانها فى پاريس - بحضرة الملك الفرنسى «شارل العاشر» [١٨٢٤ - ١٨٣٠م] عند احتلال الجزائر ١٨٣٠م: «إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصرة عظيمة على الملة الإسلامية، وما زالت كذلك»![٢] . .

كما أعلن كرادلتها وقساوستها - وهم يحتفلون ١٩٣٠م بمرور مائة عام على احتلالهم للجزائر:

«إن عهد الهلال فى الجزائر قد غبر، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى

(١) انظر كتابنا [فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] ص٢١ - ٢٥ . طبعة القاهرة ٢٠٠٥م.
(٢) رفاعة الطهطاوى [الأعمال الكاملة] جـ٢ ص٢١٩ . دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت ١٩٧٣م.

الأبد . . وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهدًا لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل!! . . وإن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار»!![1].

● وهى التى عهد جنرالها «كليبر» [١٧٥٣ ـ ١٨٠٠م] ـ إبان الحملة الفرنسية على مصر ـ إلى المعلم «يعقوب حنا» [١٧٤٥ ـ ١٨٠١م]: «**أن يفعل بالمسلمين ما يشاء . . حتى تطاولت النصارى على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم . . وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»!!**[2].

● وهى المؤسسة الكنسية التى يقود كرادلتها ـ فى واقعنا المعاصر ـ وليس فقط البابا بنديكتوس السادس عشر ـ حرب التخويف من الإسلام . . فيقول الكاردينال «بول بوبار» ـ مساعد بابا الفاتيكان يوحنا بولص الثانى . . ومسئول المجلس الفاتيكانى للثقافة:

«**إن التحدى الذى يشكله الإسلام يكمن فى أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتصرف، فى حين أن المسيحيين فى أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة . . إن الإسلام يمثل تحديًا لأوروبا وللغرب عمومًا . . وإن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيرًا ضليعًا لكى يلاحظ تفاوتًا متزايدًا بين معدلات النمو السكانى فى أنحاء معينة من العالم، ففى البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكانى بشكل تدريجى، بينما يحدث العكس فى البلدان الإسلامية.**

وفى مهد المسيح، يتساءل المسيحيون بقلق عما سيحمله لهم الغد، وعما إذا لم يكن موتهم مبرمج بشكل ما»[3].

أما الكاردينال «المونسنيور جوزيبى برناردينى» فإنه يقول ـ فى حضرة البابا يوحنا بولص الثانى ـ:

«**إن العالم الإسلامى سبق أن بدأ يبسط سيطرته بفضل دولارات النفط . . وهو يبنى المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين فى الدول المسيحية، بما**

---

(١) انظر كتابنا: [الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ] ص٣٥، ٣٦ . طبعة القاهرة ٢٠٠٦م.
(٢) الجبرتى: [عجائب الآثار فى التراجم والأخبار] جـ٥ ص١٣٦ . طبعة القاهرة ١٩٦٥م.
(٣) صحيفة [الشرق الأوسط] فى ١ ـ ١٠ ـ ١٩٩٩م ـ وهى تنقل عن [الفيجارو] ـ الفرنسية.

فى ذلك روما عاصمة المسيحية. فكيف لنا ألا نرى فى ذلك برنامجًا للتوسع، وفتحًا جديدًا»؟![1].

إذن.. فنحن لسنا بإزاء عداء فردى لبابا جديد، يمثل تيار «الأصولية الكاثوليكية» أو تراث محاكم التفتيش.. ومواقف الصليبية القديمة من الإسلام والمسلمين.. وإنما - مع ذلك، وفوق ذلك - أمام تيار قائد فى مؤسسة كنسية، هى كبرى مؤسسات المسيحية الغربية.. تحمل العداء ذاته للإسلام.. وتروج للتخويف منه، باعتباره يفتح أوروبا فتحًا إسلاميًّا جديدًا!!.. ويهدد بتحويل أوروبا إلى جزء من «دار الإسلام» فى هذا القرن الذى نعيش فيه!..

***

أما عن محاضرة البابا بنديكتوس السادس عشر - التى مثلت أحدث فصول الإساءات للإسلام - ولن تكون آخر هذه الفصول - فلقد تناول الرجل فيها أربع نقاط:

١ - الافتراء على رب العالمين وإله المسلمين.. وذلك فى معرض حديثه عن علاقة الإيمان بالعقل.. إذ ادعى أن الإيمان المسيحى عقلانى.. بينما المشيئة الإلهية لإله المسلمين متسامية لا علاقة لها بالعقل ولا بالمنطق!! الأمر الذى يجعل الإيمان الإسلامى بإله المسلمين إيمانًا «وثنيًّا أعمى»!!

٢ - والافتراء على رسول الإسلام محمد ﷺ وذلك عندما استشهد بعبارة الإمبراطور البيزنطى «مانويل الثانى» [١٣٩١ - ١٤٢٥م] التى زعم فيها أن محمدًا لم يأت إلا بما هو سيئ وشرير ولا إنسانى، ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف!

٣ - وخلطه بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب المقدسة - التى عرفتها ومارستها النصرانية الغربية لعدة قرون -.. ومن ثم ادعاؤه أن الدين الإسلامى والإيمان به إنما يؤسس لممارسة العنف والإرهاب ضد الآخرين!

٤ - والافتراء على القرآن الكريم، ووصف آياته بأنها «تعليمات أوامر اللئام التى أثبتت فى القرآن»!!.

---

(١) صحيفة [الشرق الأوسط] فى ٣٠ - ١٠ - ١٩٩٩م.

ولما كنا قد سبق وكتبنا الكتب والدراسات فى الرد على جميع هذه الافتراءات والشبهات[1] . . فإننا ـ مراعاة للمقام . . وعدم التكرار ـ سنقدم هنا نقاطًا موجزة تدحض هذه الافتراءات . .

* * *

(١) انظر كتبنا : [الإسلام فى عيون غربية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م . و [الإسلام والآخر] طبعة القاهرة ٢٠٠١م . و [الغرب والإسلام : أين الخطأ وأين الصواب؟] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م . و [فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م . و [شبهات حول الإسلام] طبعة القاهرة ٢٠٠٢م . و [شبهات حول القرآن الكريم] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م . و [الغرب والإسلام : افتراءات لها تاريخ] طبعة القاهرة ٢٠٠٦م . و [الإسلام وتحديات العصر] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م . و [الإسلام والحرب الدينية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م . و [الإسلام والأقليات] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م . و [السماحة الإسلامية] طبعة القاهرة ٢٠٠٦م . و [حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م . و [الموقف من الديانات الأخرى] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م . و [الموقف من الحضارات الأخرى] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م . و [أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر] طبعة القاهرة ٢٠٠٠م . و [فى المسألة القبطية حقائق وأوهام] طبعة القاهرة ٢٠٠١م . و[فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م .

- ٣ -

الافتراء على رب العالمين

ففيما يتعلق بمقام العقل فى الإيمان الإسلامى، وفى الفكر الإسلامى . . فلقد تجاهل عظيم الڤاتيكان الذى درس الفلسفة ودرَّسها - أن الله - سبحانه وتعالى - فى الإيمان الإسلامى من أسمائه ﴿**الْحَكِيمُ**﴾ . . وأنه هو ﴿**الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ و ﴿**الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ . . وأنه هو الذى [أنزل الكتاب والحكمة] . . وأنه - سبحانه وتعالى - إنما بعث رسوله محمداً ﷺ ليعلم الناس ﴿**الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ . . وحتى نساء النبى ﷺ أشار القرآن الكريم إلى ما يتلى فى بيوتهن ﴿**مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ . . وأن ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾ . . ﴿**سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ [البقرة: ٣٢] - ﴿**إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [البقرة: ١٢٩] - ﴿**فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٠٩] - ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [الجمعة: ٢٤] - ﴿**وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [النساء: ١١٣] - ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ [البقرة: ٢٣١] - ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ [الأحزاب: ٣٣] - ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ولقد ورد فى القرآن الكريم وصف الذات الإلهية بالحكيم فى مائة آية من آيات هذا القرآن . . كما وردت فيه الآيات التى تتحدث عن العقل والتعقل فى ٤٩ آية . .

وعن القلب، كأداة للتعقل، فى ١٣٢ آية . .

وعن الفقه، بمعنى الوعى العقلى، فى ٢٠ آية . .

وعن الحكمة فى ١٩ آية . .

وعن التفكر فى ١٨ آية . .

وعن اللب، بمعنى العقل والجوهر الإنسانى، فى ١٦ آية . .

وعن الاعتبار، بمعنى التعقل، فى ٧ آيات . .

وعن التدبر فى ٤ آيات . .

وعن النُّهى، بمعنى العقل، فى آيتين . .

أى أن القرآن الكريم ـ الذى هو معجزة عقلية، تستنفر العقل للتعقل، ولا تدهشه، كالمعجزات المادية، فتشله عن العمل ـ قد جاء فيه الحديث عن العقل والحكمة فيما يقرب من ثلثمائة آية . . وذلك فضلا عن مائة آية ورد فيها ـ بالنص ـ وصف «الحكيم» كواحد من أسماء الله الحسنى .

بل لقد جعل القرآن الكريم تنكب العقلانية والتعقل السبيل إلى جهنم ـ والعياذ بالله ـ ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)**﴾ [الملك: ١٠، ١١].

• ثم . . ألم يسمع عظيم الفاتيكان أن رسول الإسلام ﷺ قد قال: «العقل أصل دينى» . .

وقال: «عليكم بالقرآن، فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهداً» ـ رواه الدارمى . .

• وألم يقرأ لابن رشد [٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ/ ١١٢٦ ـ ١١٩٨م] ـ الذى أخرجت عقلانيته الإسلامية أوروبا من خرافات اللاهوت الكنسى ـ كيف جعل «دليل العناية والرعاية» ـ وهو قمة الحكمة والعقلانية ـ دليلاً على وجود الله ـ سبحانه وتعالى ـ ؟ . . وكيف أعلن أن «الحكمة» هى الأخت الرضيعة «لشريعة الإسلام»؟

• وألم يسمع ـ عظيم الفاتيكان ـ عن المعتزلة والتيار العقلانى فى الفكر الإسلامى والفلسفة الإسلامية، الذين تجاوزوا ما اتفق عليه غيرهم من المسلمين من أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يجوز عليه ولا يليق به ـ لفرط الحكمة المطلقة فى مشيئته وفعله ـ إلا فعل الصلاح والأصلح . . تجاوز المعتزلة ذلك، فأوجبوه على الله!! . .

ولقد استندوا فى ذلك إلى فهمهم للقرآن الكريم، الذى جاء فيه أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢].

• وألم يقرأ ـ عظيم الفاتيكان ـ ما كتبه حجة الإسلام أبو حامد الغزالى [٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١١١م] ـ وهو أستاذ للعديد من الفلاسفة والقديسين المسيحيين ـ عن العلاقة العضوية بين العقلانية وبين الشرع والقرآن فى الإسلام . . وكيف شبه العقل بنور البصر، والشرع بنور الشمس وضيائها . . ومن ثم حكم بأنه لا قيمة لأى منهما إذا انقطع عن الآخر . . وقال:

«إنه لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول . . فمثال العقل: البصر السليم من الآفات والأذاء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء . . والمستغنى بأحدهما عن الآخر إنما يكون فى غمار الأغبياء. فالمعرض عن العقل، مكتفيًا بنور القرآن، مثاله: المتعرض لنور الشمس مغمضًا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان! فالعقل مع الشرع نور على نور[١] . . وأنّى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر البحث والنظر؟

أو لا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر ﷺ وبرهان العقل هو الذى عرف به صدقه فيما أخبر؟ . .

إن العقل أولى باسم النور من العين، بل بينهما من التفاوت ما يصح أن يقال معه إنه أولى، بل الحق أنه يستحق الاسم دونها[٢] . . وعند إشراق نور الحكمة يصير الإنسان مبصرًا بالفعل بعد أن كان مبصرًا بالقوة، وأعظم الحكمة كلام الله تعالى، فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة، إذ به يتم الإبصار،

---

(١) حجة الإسلام الغزالى [الاقتصاد فى الاعتقاد] ص٢، ٣ . طبعة مكتبة صبيح ـ القاهرة. بدون تاريخ.
(٢) الغزالى [مشكاة الأنوار] ص٣٦ . طبعة القاهرة ١٩٠٧م.

فبالحرى أن يسمى القرآن نورًا، كما يسمى نور الشمس نورًا، فمثال القرآن: نور الشمس، ومثال العقل: نور العين، وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]. . وما قضى العقل باستحالته، فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول[١]. . والوحى الإلهى والشرع الحق لا يرد بما ينبو عنه العقل[٢]. . فلهذا كان رأسمال كل السعادات العقل»[٣]. .

وقول الغزالى - كذلك - فى شرح الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] «فكان من أعظم ما شرفه به الله وكرمه: العقل، الذى تنبه به على البهيمة، وألحقه بسببه بعالم الملائكة، حتى تأهل به لمعرفة باريه ومبدعه بالنظر فى مخلوقاته، والاستدلال به على معرفة صفاته بما أودعه فى نفسه من حكمة»[٤].

● وألم يعلم - عظيم الفاتيكان - أن الإسلام قد جعل «الشك المنهجى» علمًا. . وأوجب تعلمه. . لأنه هو الطريق إلى اليقين. . حتى قال الجاحظ [١٦٣ - ٢٥٥هـ/ ٧٨٠ - ٨٦٩م]:

«فاعرف مواضع الشك، وحالاتها الموجبة له، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له. وتعلَّم الشك فى المشكوك فيه تعلمًا، فلو لم يكن فى ذلك إلا تعرف التوقف، ثم التثبت، لقد كان ذلك مما يحتاج إليه. . فلم يكن يقين قط حتى كان قبله شك، ولم ينتقل أحد عن اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك. فلا تذهب إلى ما تريك العين، واذهب إلى ما يريك العقل، وللأمور حكمان: ظاهر للحواس، وحكم باطن للعقول، والعقل هو الحجة»[٥].

● وقول الماوردى [٣٦٤ - ٤٥٠هـ/ ٩٧٤ - ١٠٥٨م]:

---

(١) [الاقتصاد فى الاعتقاد] ص٢، ٣، ١٢٢.

(٢) الغزالى [المضنون به على غير أهله] ص٣١٨. طبعة القاهرة - ضمن مجموعة [القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى] - مكتبة الجندى - بدون تاريخ.

(٣) الغزالى [رسالة الغزالى إلى ملكشاه] ص٦٩ - طبعة القاهرة ١٩٠٧م.

(٤) الغزالى [أسرار المخلوقات] ص٧٧. طبعة تونس ١٩٩٠م.

(٥) الجاحظ [الحيوان] جـ١، ص٣٥ - ٣٧، جـ١، ص٢٠٢. تحقيق: عبد السلام هارون. طبعة القاهرة - الثانية.

«إن السبب المؤدى إلى معرفة الأصول الشرعية والعمل بها شيئان: أحدهما: علم الحس، وهو العقل؛ لأن حجج العقل أصل لمعرفة الأصول، إذ ليس تعرف الأصول إلا بحجج العقول. وثانيهما: معرفة لسان العرب - وهو معتبر - فى حجج السمع خاصة - . .»(1).

● وقول القرافى - أحمد بن إدريس - [٦٨٤ هـ ١٢٨٥ م]:

« . . والقاعدة المعلومة: أن الشرع لا يرد بخلاف العقل، بل جميع واردات الشرائع يجب انحصارها فيما يجوزه العقل وجودًا وعدمًا، فيرد الشرع بترجيح أحد طرفيه، وجوده أو عدمه، أو يسوى بينهما، وهو الإباحة»(2).

● وقول القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى [٤١٥ هـ ١٠٢٤ م]:

«إن الأدلة، أولها: دلالة العقل؛ لأن به يميز بين الحسن والقبيح؛ ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة، والإجماع. ولربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم، فيظن أن الأدلة هى: الكتاب، والسنة، والإجماع، فقط. أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر. وليس كذلك؛ لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل؛ ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة، والإجماع، فهو أصل فى هذا الباب. وإن كنا نقول: إن الكتاب هو الأصل، من حيث إن فيه التنبيه على ما فى العقول، كما أن فيه الأدلة على الأحكام. وبالعقل يميز بين أحكام الأفعال وبين أحكام الفاعلين، ولولاه لما عرفنا من يؤاخذ بما يتركه أو بما يأتيه، ومن يحمد ومن يُذم؛ ولذلك تزول المؤاخذة عمن لا عقل له. ومتى عرفنا بالعقل، إلهًا منفردًا بالإلهية، وعرفناه حكيما، نعلم فى كتابه أنه دلالة، ومتى عرفناه مرسلاً للرسول، ومميزًا له بالأعلام المعجزة، من الكاذبين، علمنا أن قول الرسول حجة. وإذا قال ﷺ: «لا تجتمع أمتى على خطأ . . وعليكم بالجماعة» . . علمنا أن الإجماع حجة»(3).

● وإذا كان بابا الفاتيكان قد جعل موضوع محاضرته عن علاقة الإيمان بالعقل . .

---

(1) الماوردى [أدب القاضى] جـ١ . ص٢٧٤، ٢٧٥ . طبعة بغداد ١٩٧١م.

(2) القرافى [كتاب الأمنية فى إدراك النية] ص٥٢٣ .

(3) القاضى عبد الجبار [فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة] ص١٢٧ . تحقيق: فؤاد سيد. طبعة تونس ١٩٧٢م.

فكيف جهل أن فلاسفة الإسلام - ومنهم أبو على الجبائى [٢٣٥ - ٣٠٤ هـ/ ٨٤٩ - ٩١٦م] - قد قالوا: «**إن الواجب الأول على الإنسان هو النظر**».

بل وقال الفيلسوف أبو هاشم الجبائى [٢٤٧ - ٣٢١ هـ/ ٨٦١ - ٩٣٣م]: «إن الواجب الأول على الإنسان هو الشك»![1] . . وذلك انطلاقًا من التأصيل القرآنى لمنهاج «الشك المنهجى»: ﴿**أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ [البقرة: ٢٦٠]. .

● وحتى شيخ الإسلام، وإمام السلفية ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ/ ١٢٦٣ - ١٣٢٨م] الذى جعل عنوان كتابه [درء تعارض صريح المعقول مع صحيح المنقول]. . رأيناه يعلن: أن «**الحنفية وكثير من المالكية والشافعية والحنبلية يقولون بتحسين العقل وتقبيحه، وهو قول الكرامية والمعتزلة، وهو قول أكثر الطوائف من المسلمين**»[2] أى أن أغلب تيارات الفكر الإسلامى - الفلسفية والفقهية - تجعل العقل مرجعية للتحسين والتقبيح. .

● وإذا كان عظيم الفاتيكان - وأستاذ الفلسفة - قد جهل هذا التراث الفلسفى الإسلامى القديم. . فكيف جهل تراث الإسلام الفلسفى الحديث - فى العقلانية الإسلامية - والذى قال فيه جمال الدين الأفغانى [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ/ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م]:

«**إن الدين الإسلامى يكاد يكون متفردًا بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل، وتوبيخ المتبعين للظنون، وتبكيت الخابطين فى عشواء العماية، والقدح فى سيرتهم.**

هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان فى أصول دينهم، وكلما خاطب خاطب العقل، وكلما حاكم حاكم إلى العقل، تنطق نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة، وأن الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة وإهمال العقل وانطفاء نور البصيرة. . وقلما يوجد من الأديان ما يساويه أو يقاربه فى هذه المزية. وأظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة.

---

(١) د. على فهمى خشيم [الجبائيان أبو على وأبو هاشم] ص٣٣٣. طبعة طرابلس - ليبيا ١٩٦٨م.
(٢) ابن تيمية [الفتاوى] جـ٨. ص٤٢٨، ٤٣٣. طبعة الرياض ١٣٨١م.

إن العقل مشرق الإيمان، فمن تحوّل عنه فقد دابر الإيمان.

وإن فرقا بين ما لا يصل العقل إلى كنهه، فيعرفه بأثره، وبين ما يحكم العقل باستحالته، فالأول معروف عند العقل، يقر بوجوده، ويقف دون سرادقات عَزَّتِهُ، أما الثانى فمطروح من نظره، ساقط من اعتباره، لا يتعلق به عقد من عقوده، فكيف يصدق به وهو قاطع بعدمه؟!

لقد بدأ الإنسان بداية لا تميزه عن غيره من الحيوانات! . . لكن نقطة الافتراق كانت قوته العاقلة . . والله قد جعل قوة العقل للإنسان محور صلاحه وفلاحه . . والحكمة، وآلتها العقل، هى مقننة القوانين، وموضحة السبل، وواضعة جميع النظامات، ومعينة جميع الحدود، وشارحة حدود الفضائل والرذائل، وبالجملة، فهى قوام الكمالات العقلية والخلقية . . فهى أشرف الصناعات . .

إن الإنسان من أكبر أسرار هذا الكون، ولسوف يستجلى بعقله ما غمض وخفى من أسرار الطبيعة، وسوف يصل بالعلم وإطلاق سراح العقل إلى تصديق تصوراته، فيرى ما كان من التصورات مستحيلاً قد صار ممكنًا، وما صوره جموده بأنه خيال قد أصبح حقيقة . .[1].

إن أول ركن بنى عليه الدين الإسلامى: صقل العقول بصقال التوحيد، وتطهيرها من لوث الأوهام، وسعادة الأمم لا تتم إلا بصفاء العقول من كدرات الخرافات وصدأ الأوهام، فإن عقيدة وهمية لو تدنس بها العقل لقامت حجابًا كثيفًا يحول بينه وبين حقيقة الواقع ويمنعه من كشف نفس الأمر، بل إن خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكرية، وتدعوه بعد ذلك أن يحمل المثل على مثله، فيسهل عليه قبول كل وهم، وتصديق كل ظن، وهذا مما يوجب بعده عن الكمال، ويضرب له دون الحقائق ستارًا لا يخرق، وفوق ذلك ما تجلبه الأوهام على النفوس من الوحشة وقرب الدهشة، والخوف مما لا يخيف، والفزع مما لا يفزع . .

إن دين الإسلام قد فتح أبواب الشرف فى وجوه الأنفس . . وقرر المزايا على قاعدة الكمال العقلى والنفسى لا غير، فالناس إنما يتفاضلون بالعقل والفضيلة . . وعقائد

---

(١) جمال الدين الأفغانى [الأعمال الكاملة] ص١٧٧، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٥ . دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة ١٩٦٨م.

الأمـة ـ وهى أول رَقْم ينقش فى ألواح نفوسـهـا ـ يجب أن تكون مـبنية على البـراهين القويمـة والأدلة الصحيـحة، وأن تتحامى مطالعة الظنون فى عقـائدها، وتترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها، فإن معتقدًا لاحت العقيدة فى مخيلته بلا دليل ولا حجة قد لا يكون موقنًا، فلا يكون مؤمنا . . وأولئك المتبعون للظن، القانعون بالتقليد تقف بهم عقولهم عندما تعودت إدراكه، فلا يذهبون مذاهب الفكر، ولا يسلكون طرائق النظر، وإذا استمر بهم ذلك تغشّتهم الغباوة بالتدريج، ثم تكاثفت عليهم البلادة حتى تعطل عقولهم عن أداء وظائفها العقلية بالمرة، فيدركها العجز عن تمييز الخير من الشر، فيحيط بهم الشقاء، ويتعثر بهم البخت، وبئس المآل مآلهم .

هذا هو الإسلام . . »(١)

● ألم يقرأ عظيم الفاتيكان ـ وأستاذ الفلسفة ـ شيئًا من هذا الذى كتبه فيلسوف الشرق جمال الدين الأفغانى . . عن تفرد الإسلام ـ دون غيره من الأديان ـ بالعقلانية . . وشهادة خصومه له بهذا التفرد؟! . .

وهل يجوز لمثله ـ ممن يتصدى للحديث عن موقف الإيمان الإسلامى من العقل والعقلانية ـ أن يجهل هذه «المقالات» الشهيرة ـ حتى فى اللغات الغربية ـ عن العقلانية الإسلامية؟! . .

ثم . . ألم يسمع بابا الفاتيكان عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٨ ـ ١٩٠٥م] ـ وهو الذى وضعت حول فكره وإبداعاته العديد من الرسائل الجامعية التى كتبها لاهوتيون غربيون . . والذى راسل وحاور العديد من فلاسفة الغرب ومفكريه . . من «تولستوى» [١٨٢٨ ـ ١٩١٠م] إلى سبنسر [١٨٢٠ ـ ١٩٠٣م] إلى هانوتو [١٨٥٣ ـ ١٩٤٤م] . . وغيرهم . . وهو الذى صاغ فى العقلانية الإسلامية المتفردة مقالاً نفيسًا، قارن فيه بين عقلانية الإسلام ولا عقلانية عقيدة بابا الفاتيكان!! . .

ألم يسمع البابا بنديكتوس السادس عشر بما كتبه محمد عبده عن :

«أن الإنسان : كون عقلى، سلطان وجوده العقل، فإن صلح السلطان ونفذ حكمه،

(١) الأفغانى [الآثار الكاملة] جـ١ . ص٤٢، ٤٣ . جمع وإعداد : هادى خسرو شاهى . تقديم : د. محمد عمارة طبعة القاهرة ٢٠٠٢م .

صلح ذلك الكون وتم أمره . . والعقل من أجلّ القوى، بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها، والكون صحيفته التى ينظر فيها، وكتابه الذى يتلوه، وكل ما يقرأ فيه فهو هداية إلى الله وسبيل للوصول إليه . .

والعقل هو جوهر إنسانية الإنسان، وهو أفضل القوى الإنسانية على الحقيقة . .

ولقد تآخى العقل والدين - [فى الإسلام] - لأول مرة فى كتاب مقدس، على لسان نبى مرسل، بتصريح لا يقبل التأويل، وتقرر بين المسلمين كافة - إلا من لا ثقة بعقله ولا بدينه -: أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل، كالعلم بوجود الله، وبقدرته على إرسال الرسل، وعلمه بما يوحى إليهم، وإرادته لاختصاصهم برسالته، وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، كالتصديق بالرسالة نفسها . .

كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشىء قد يعلو على الفهم، فلا يمكن أن يأتى بما يستحيل عند العقل . .

وأول أساس وضع عليه الإسلام: هو النظر العقلى، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح، فقد أقامك منه على سبيل الحجة، وقاضاك إلى العقل، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه؟

بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة: إن الذى يستقصى جهده فى الوصول إلى الحق، ثم لم يصل إليه، ومات طالبًا غير واقف عند الظن، فهو ناج. فأى سعة لا ينظر إليها الحرج أكمل من هذه السعة؟

ولقد اتفق أهل الملة الإسلامية - إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه - على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل، وبقى فى النقل طريقان: طريق التسليم بصحة المنقول، مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الأمر إلى الله فى علمه. والطريق الثانية: تأويل النقل، مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل.

وإنه لا يقين مع التحرج من النظر، وإنما يكون اليقين بإطلاق النظر فى الأكوان، طولها وعرضها، حتى يصل إلى الغاية التى يطلبها بدون تقييد.

فالله يخاطب - فى كتابه - الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولا حد. والوقوف عند

حد فهم العبارة مضر بنا، ومناف لما كتبه أسلافنا من جواهر المعقولات. . والقرآن قد دعا الناس إلى النظر فيه بعقولهم، فهو معجزة عرضت على العقل، وعرفته القاضى فيها، وأطلقت له حق النظر فى أنحائها، ونشر ما انطوى فى أثنائها. . فالإسلام لا يعتمد على شىء سوى الدليل العقلى، والفكر الإنسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى، فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية. .

والمرء لا يكون مؤمنًا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به. فمن ربِّىَ على التسليم بغير عقل، والعمل ـ ولو صالحًا ـ بغير فقه فهو غير مؤمن؛ لأنه ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد منه أن يرتقى عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان فى دينه، فيعمل الخير؛ لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله، ويترك الشر؛ لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته فى دينه ودنياه، ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل فى اعتقاده. . فالعاقل لا يقلد عاقلاً مثله، فأجدر به أن لا يقلد جاهلاً هو دونه!

وإن القول بنفى الرابطة بين الأسباب والمسببات جدير بأهل دين ورد فى كتابه أن الإيمان وحده كاف فى أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحول عن مكانك، فيتحول الجبل! . . يليق بأهل دين تعد الصلاة وحدها ـ إذا أخلص المصلى فيها ـ كافية فى إقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم العنصرى! . . وليس هذا الدين هو دين الإسلام!

دين الإسلام هو الذى جاء فى كتابه: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥] ـ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] ـ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً (٦٢)﴾ [الأحزاب: ٦٢]. وأمثالها.

وليس من الممكن لمسلم أن يذهب إلى ارتفاع ما بين حوادث الكون من الترتيب فى السببية والمسببية إلا إذا كفر بدينه قبل أن يكفر بعقله! .

إن لله فى الأمم والأكوان سننًا لا تتبدل. . وهى التى تسمى شرائع أو نواميس، أو قوانين. . ونظام المجتمعات البشرية وما يحدث فيها، هو نظام واحد لا يتغير ولا

يتبدل. وعلى من يطلب السعادة فى المجتمع أن ينظر فى أصول هذا النظام حتى يرد إليه أعماله، ويبنى عليها سيرته، وما يأخذ به نفسه، فإن غفل عن ذلك غافل فلا ينتظر إلا الشقاء، وإن ارتفع فى الصالحين نسبه، أو اتصل بالمقربين سببه. فمهما بحث الناظر وفكر، وكشف وقرر أتى لنا بأحكام تلك السنن، فهو يجرى مع طبيعة الدين، وطبيعة الدين لا تتجافى عنه، ولا تنفر منه. ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

إن إرشاد الله إيانا إلى أن له فى خلقه سننا، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علمًا من العلوم المدونة، لتقديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة - فى مجموعها - أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله فى خلقه، كما فعلوا فى غير هذا العلم من العلوم والفنون التى أرشد إليها القرآن بالإجمال، وبينها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه.

والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل عليه فى مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم؛ إذ أمرنا أن نسير فى الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها..

وبهذا الأصل، الذى قام عليه الكتاب وصحيح السنة وعمل النبى ﷺ مهدت بين يدى العقل كل سبيل، وأزيلت من سبيله جميع العقبات، واتسع له المجال إلى غير حد..».

وبعد هذا «المقال فى العقلانية الإسلامية»، التى تفرد بها الإسلام دون سائر الديانات.. ينبه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده على تميز هذه العقلانية الإسلامية بأنها «عقلانية مؤمنة» تميزت بالوسطية الإسلامية الجامعة بين «العقل» و «الوحى» - بين «السنن الكونية: كتاب الله المنظور» وبين «آيات الوحى والشرع: كتاب الله المسطور».. فهى بريئة من «اللاهوت الخرافى» براءتها من «الغرور العقلانى».. بريئة من العقلانية المجردة من النقل - كما كان الحال فى الحقبة الإغريقية - وبريئة من العقلانية المادية الوضعية التى جاءت - فى النهضة الأوروبية - ثورة على اللاهوت اللاعقلانى.. ولذلك، ضبط الإمام محمد عبده هذه العقلانية الإسلامية المؤمنة.. عندما قال:

« . . فالعقل البشرى وحده ليس فى استطاعته أن يبلغ بصاحبه ما فيه سعادته فى هذه الحياة، اللهم إلا فى قليل ممن لم يعرفهم الزمن، فإن كان لهم من الشأن العظيم ما به عرفهم أشار إليهم الدهر بأصابع الأجيال:

وقد يكون من الأعمال ما لا يمكن درك حسنه، ومن المنهيات ما لا يعرف وجه قبحه، وهذا النوع لا حسن له إلا الأمر ولا قبح إلا النهى! . .

إن مجرد البيان العقلى لا يدفع نزاعًا، ولا يرد طمأنينة، وقد يكون القائم على ما وضع من شريعة العقل يزعم أنه أرفع من واضعها، فيذهب بالناس مذهب شهواته، فتذهب حرمتها، وينهدم بناؤها، ويفقد ما قصد بوضعها . .

وإذا قدّرنا عقل البشر قدره، وجدنا غاية ما ينتهى إليه كماله إنما هو الوصول إلى معرفة عوارض الكائنات التى تقع تحت الإدراك الإنسانى . . أما الوصول إلى كنه حقيقة فمما لا تبلغه قوته . .

ومن أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن لعقل بشرى أن يصل إليه وحده . . لهذا كان العقل محتاجًا إلى معين يستعين به فى وسائل السعادة فى الدنيا والآخرة . .

فالعقل هو ينبوع اليقين فى الإيمان بالله، وعلمه، وقدرته، والتصديق بالرسالة . . أما النقل، فهو الينبوع فيما بعد ذلك من علم الغيب، كأحوال الآخرة، والعبادات . .

والذى علينا اعتقاده: أن الدين الإسلامى دين توحيد فى العقائد، لا دين تفريق فى القواعد، والعقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه . . »[1]

● وعلى هذا الدرب . . درب العقلانية الإسلامية، المتميزة بإعلاء مقام العقل، مع الوسطية التى تجمع بين العقل لعالم الشهادة، والإيمان بالنقل المصور لعالم الغيب . . أى العقلانية الجامعة بين العلم والغيب . . على هذا الدرب يسير الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ـ١٣٦٨هـ/ ١٩٠٦ـ١٩٤٩م] عندما يقول:

---

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ٣ ص١٦٥، ٢٧٧ . و جـ٥ ص٤٢٨ . و جـ٣ ص٢٩٨، ٢٨٢، ١٥١، ٢٧٩ـ٢٨١ . و جـ٤ ص ٤١٤. و جـ٣ ص٥٠٢، ٢٨٤ . و جـ٥ ص٩٤، ٩٥ . و جـ٣ ص٢٨٢، ٣٩٩، ٤١١، ٣٧٩، ٣٩٧، ٣٢٥، ٣٦٥ . ولمزيد من نصوص الإمام محمد عبده فى العقلانية، انظر كتابنا [الإصلاح بالإسلام] ص٨٣ـ١١٦، ١٢٣ـ١٤٢، ١٥١ـ١٦٣ طبعة القاهرة ٢٠٠٦م. وكتابنا [مقام العقل فى الإسلام].

«إن الإسلام لم يحجر على الأفكار، ولم يحبس العقول . . بل جاء يحرر العقل، ويحث على النظر فى الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح النافع من كل شىء . . «والحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها».

«وقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى ما لا يدخل فى دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى، فلن تصطدم حقيقة علمية بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤول الظنى منها ليتفق مع القطعى، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار . .

ولقد تذبذب تاريخ العقل البشرى بين :

١ ـ طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب .

٢ ـ وطور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول .

وكلا هذين اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح، وغلو فاحش، وجهالة من الإنسان بما يحيط بالإنسان، فلقد جاء الإسلام الحنيف يفصل القضية فصلاً حقّا . . فجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل . .

إن المجتمع الإنسانى لن يصلحه إلا اعتقاد روحى يبعث فى النفوس مراقبة الله . . فى الوقت الذى يجب على الناس فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف وتسخر هذه المادة الصماء، وتنتفع بما فى الوجود من خيرات وميزات . . فإلى هذا اللون من التفكير الذى يجمع بين العقليتين : الغيبية والعلمية ندعو الناس»[1] .

* * *

هكذا تبلورت فى الإسلام ـ الدين . . والحضارة . . والتاريخ ـ عقلانية مؤمنة متميزة عن غيرها من العقلانيات التى عرفتها شرائع أخرى . . وحضارات أخرى . .

ـ فالإنسان كون عقلى . . سلطان وجوده العقل . .

ـ والعقل هو جوهر الإنسان . . ومن أجل القوى الإنسانية . . بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها . .

---

(١) حسن البنا [الرسائل] ص٢٩٤، ٢٧٠، ٢٧١، ١١٠ ـ ١١٢ طبعة القاهرة ـ دار الشهاب ـ بدون تاريخ .

ـ ولقد تآخى العقل والدين فى القرآن لأول مرة فى تاريخ الشرائع السماوية . .

ـ والله ـ فى القرآن ـ لا يخاطب إلا الفكر والعقل والعلم، بدون قيد ولا حد . .

ـ والقرآن معجزة عقلية، عرضت على العقل، وعرفته القاضى فيها . .

ـ والمسلم لا يكون مؤمنًا حقّا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به . .

ـ والعقل هو مشرق الإيمان الدينى . .

ـ والسعادة الإنسانية هى من نتائج العقل والبصيرة . .

ـ وسعادة الأمم لا تتم إلا بصفاء العقول من كدرات الخرافات وصدأ الأوهام . .

ـ والسببية . . والسنن والقوانين هى الحاكمة للكون والاجتماع . .

ـ وأول واجب على الإنسان هو النظر . . والشك المنهجى هو الطريق إلى اليقين . .

ـ والعقل هو ينبوع اليقين فى الإيمان بالله . . والتصديق بالرسالة . . أما النقل فهو الينبوع فيما بعد ذلك من علم الغيب . . فالعقل من أشد أعوان الإسلام . . والنقل من أقوى أركان الإسلام . .

***

● ثم . . من أين جاء عظيم الفاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ بهذه «البدعة» التى زعم فيها أن مسيحيته متفوقة فى العقلانية على الإسلام؟! . .

ألم يقرأ مقارنة الإمام محمد عبده بين الدينين فى هذا المقام؟ . . وكيف **أن «أحد أصول النصرانية ـ الذى لا يختلف فيه كاثوليك ولا أرثوذكس ولا بروتستانت ـ هو أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها، وأن من الدين ما لا يقبله العقل، بمعنى ما يناقض أحكام العقل ومنطقه، وهو مع ذلك مما يجب الإيمان به . . ولقد قال القديس «أنسيلم» [١٠٣٣ ـ ١١٠٩م]: «يجب أن تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر . . فليس الإيمان فى حاجة إلى نظر العقل، والكون وما فيه لا يهم المؤمن أن يجيل فيه نظره»!! . . بينما أول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلى، والنظر العقلى هو أساس الإيمان الصحيح . . »**[1].

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ٣ ص٢٦٢، ٢٨٢ .

فأين هى العقلانية المسيحية ـ وهذا كلام القديس «أنسيلم»؟! . . فضلاً عن أن تكون عقلانيتها متفوقة على العقلانية الإسلامية ـ التى قدمنا الشواهد من مقالاتها؟! . .

لقد قرر الإسلام ـ وقرر فلاسفته ومفكروه ـ أن العقل هو الطريق إلى معرفة الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأن العقل يتفكر ويتدبر ويتعقل فى الخلق، فيدرك أنه لا بد من خالق متصف بكل صفات الجلال والكمال . . ولذلك، كانت أول فريضة على الإنسان ـ إسلاميًا ـ هى فريضة النظر! حتى قبل الإيمان بالكتب والنبوات والرسالات!! **﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** [يونس: ١٠١] ـ **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾** [العنكبوت: ٢٠]

● وإذا جاز لبابا الڤاتيكان أن يجهل هذا التراث الإسلامى ـ القديم والحديث ـ فى العقلانية الإسلامية ـ المتميزة . . والمتفوقة . . والمتفردة ـ . . وهذا غير جائز ـ فكيف له أن يجهل ـ وهو أستاذ للفلسفة ـ ما كتبه المستشرق الإنجليزى «ألفريد جيوم» عن تفرد الفلسفة الإسلامية بتأسيسها على الدين الإسلامى . . وذلك عندما قال:

«إن قوة الحركة الاعتزالية ـ [التى أسست علم الكلام الإسلامى . . والفلسفة الإسلامية قبل عصر الترجمة عن الإغريق] ـ مردها جهود أولئك الذين حاولوا أقصى ما فى طوقهم إقامة علم الكلام الإسلامى على أسس ثابتة من الفلسفة، مصرين فى الوقت نفسه على أن تكون تلك الأسس منطقية، ثم الانسجام بينها وبين الفلسفة التى يجب أن تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية . .»[1].

● ثم . . أين هى العقلانية ـ يا عظيم الڤاتيكان ـ فى الدين الذى ينتهك قوانين السببية، ويقرر ـ فى كتابه ـ أن الإيمان وحده كاف فى أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحول عن مكانك، فيتحول الجبل! وأن الصلاة وحدها كافية فى إقدار المصلى على تغيير سير الكواكب، وقلب نظام العالم وتركيبه العنصرى؟! . .

● بل أين هى حتى ظلال العقلانية فى الدين الذى لا يزال أهله ـ حتى القرن الواحد والعشرين ـ يعتقدون أن «تمتمات» ببعض الكلمات اللاتينية، تحول الخبز والخمر إلى

---

(١) جيوم [الفلسفة وعلم الكلام] ـ انظر كتاب [تراث الإسلام] ص٣٧٩ ـ ترجمة: جرجيس فتح الله ـ طبعة بيروت ١٩٧٢م.

لحم معبودهم ودمه!.. ثم «يتناولونه» ـ يتناولون معبودهم ويأكلونه.. ليذهبوا ـ بعد ذلك ـ بفضلات هذا المعبود إلى حيث يعرف الجميع!!

أين هى العقلانية التى تتحدث عنها وتباهى بها يا عظيم الفاتيكان، وها هو القديس «أوغسطين» [٣٥٤ ـ ٤٣٠م] يقول:

«أؤمن بهذا لأنه محال أو غير معقول»!!.. كما يقول القس وهيب الله عطا: «إن التجسيد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولاً»!![1].

أين هى العقلانية عند الذين يقول كتابهم: «اعتقد وأنت أعمى»!!.. «اغمض عينيك ثم اتبعنى»!!

● وإذا كنت ـ يا عظيم الفاتيكان ـ لم تقرأ ما جاء فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامى عن مقام العقل فى الإسلام.. فهل يليق بمثلك أن تجهل ما كتبه علماء الغرب عن هذه العقلانية الإسلامية، ودورها فى انتشار الإسلام؟!.. وما كتبوه عن لا عقلانية مسيحيتك الرومانية، التى غبشتها وأفسدتها الثقافة الهلينية، وملأتها بالأسرار والألغاز.. ودور هذه اللاعقلانية فى هزيمة مسيحيتك أمام عقلانية الإسلام؟!

كيف جهلت ـ يا عظيم الفاتيكان ـ ما كتبه العلماء الأعلام الغربيون الذين جمعوا بين فقه الإسلام وفقه النصرانية.. ومنهم العلامة سير توماس أرنولد [١٨٦٤ ـ ١٩٣٠م] ـ عملاق الثقافة الإنجليزية.. الذى أورد فى كتابه الفذ [الدعوة إلى الإسلام] شهادات العلماء والفلاسفة واللاهوتيين والمستشرقين الغربيين على عقلانية الإسلام.. وعلى امتلاء المسيحية بالأسرار والألغاز التى يستحيل فهمها حتى على أهل الاختصاص..

لقد قال العلامة سير توماس أرنولد:

«ولا يستطيع أى فرد أن يوضح الطابع العقلى للعقيدة الإسلامية، وما جنته من هذا

---

(١) د. أحمد شلبى [مقارنة الأديان] جـ٢ ص١٢٤.

الطابع من الفائدة فى نشر الدعوة، توضيحًا يبعث على الإعجاب، بأكثر مما وضحه البروفسور «إدوارد مونتيه» [١٨٥٦ ـ ١٩٢٧م][1] فى العبارات التالية:

«الإسلام فى جوهره دين عقلى، بأوسع معانى هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية، فإن تعريف الأسلوب العقلى Rationalism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق على الإسلام تمام الانطباق.. إن لدين محمد كل العلامات التى تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل.. إن الإيمان بالله والآخرة ـ فى الإسلام ـ يستقران فى نفس المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق، ويلخصان كل تعاليم العقيدة التى جاء بها القرآن. وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهى على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة فى الدين وفى نشاط الدعوة إلى الإسلام.

لقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل، باعتباره النقطة الأساسية التى بدأت منها تعاليم هذه العقيدة، وقد جهر القرآن دائما بمبدأ الوحدانية فى عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول. ومن العسير أن نجد فى غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا.. وفى هذا تكمن الأسباب الكثيرة التى تفسر لنا نجاح جهود الدعاة المسلمين.

وكان من المتوقع لعقيدة محددة كل التحديد، خالية كل الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية ـ ثم هى تبعًا لذلك فى متناول إدراك الشخص العادى ـ أن تمتلك ـ وإنها لتمتلك فعلاً ـ قوة عجيبة لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس».

● وغير شهادة هذا العالم الفرنسى ـ «مونتيه» ـ الخبير بالقرآن والإسلام والخبير بالكاثوليكية ـ يورد العلامة سير توماس أرنولد شهادة اللاهوتى الإيطالى «الأب مراتشى» Marracci [١٦١٢ ـ ١٧٠٠م] ـ وهو الذى نشر القرآن متنًا وترجمه بالإيطالية. كما أسهم فى ترجمة العهدين القديم والجديد ـ. يورد «أرنولد» شهادة «مراتشى» على عقلانية الإسلام، والتى يقول فيها:

«لو قارن إنسان بين أسرار الحالة الطبيعية البسيطة التى فاقت طاقة الذكاء البشرى،

---

(١) مونتيه: مستشرق فرنسى. ترجم القرآن إلى الفرنسية. ومن مؤلفاته [حاضر الإسلام ومستقبله].

أو التى هى ـ على الأقل ـ من الصعوبة بمكان، إن لم تكن مستحيلة ـ [العقيدة المسيحية] ـ وبين عقيدة القرآن، لانصرف عن الأولى فى الحال، وأسرع إلى الثانية فى ترحيب وقبول . . ».

● وغير هاتين الشهادتين الغربيتين على تميز الإسلام وامتيازه فى العقلانية ـ بل وتفرده بها ـ وخاصة إذا ما قورن بالنصرانية ـ يورد العلامة سير توماس أرنولد، شهادات غربية على أن هذه العقلانية الإسلامية هى السر فى هذا الانتشار الذى شهدته هذه العقيدة الإسلامية . .

يورد شهادة الأمير والمستشرق الإيطالى «كايتانى ـ ليون» Caetani [١٨٦٩ ـ ١٩٢٦م] ـ وهو الخبير فى الإسلام والدراسات الإسلامية . . وصاحب الإنجازات المتميزة فى تحقيق التراث الإسلامى ـ التى يقول فيها :

«إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التى جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحى .

أما الشرق، الذى عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالاً عليه من الوجهة الدينية؛ لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها .

فلما أهلَّت آخر الأمر أنباء الوحى الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد المسيحية الشرقية، التى اختلطت بالغش والزيف، وغرقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب، لم تعد المسيحية بعد تلك قادرة على مقاومة وإغراء هذا الدين الجديد الذى بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايا مادية جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى فى أحضان نبى بلاد العرب» . .

● وغير هذه «الشهادة ـ الوثيقة» لكايتانى ـ على أن عقلانية الإسلام هى السر فى انتشاره السريع، وانتصاره على اللاعقلانية المسيحية . . قدم «أرنولد» شهادة الفيلسوف الأمريكى «جون تايلور» Cunon Tuylor [١٧٥٣ ـ ١٨٢٤م] . . والتى يقول فيها :

«إنه من اليسير أن ندرك لماذا انتشر هذا الدين الجديد بهذه السرعة فى إفريقيا وآسيا. كان أئمة اللاهوت فى إفريقية والشام قد استبدلوا بديانة المسيح عقائد ميتافيزيقية عويصة، ذلك أنهم حاولوا أن يحاربوا ما ساد هذا العصر من فساد بتوضيح فضل العزوبية فى السماء، وسمو البكورية إلى مرتبة الملائكة، فكان اعتزال العالم هو الطريق إلى القداسة، والقذارة صفة لطهارة الرهبنة، وكان الناس فى الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة، كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب، ولم يكن للعبيد أمل فى حاضرهم ولا مستقبلهم، فأزال الإسلام ـ بعون من الله ـ هذه المجموعة من الفساد والخرافات.

لقد كان ثورة على المجادلة الجوفاء فى العقيدة، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى. ولقد بين أصول الدين التى تقول بوحدانية الله وعظمته، كما بين أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه. وأعلن أن المرء مسئول، وأن هناك حياة آخرة ويومًا للحساب، وأعد للأشرار عقابًا أليمًا، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل الدينى والترهات والنزعات الأخلاقية الضالة وسفسطة المنازعين فى الدين، وأحل الشجاعة محل الرهبنة، ومنح العبيد رجاء، والإنسانية إخاء، ووهب الناس إدراكا للحقائق الأساسية، التى تقوم عليها الطبيعة البشرية»[1].

***

إذا كان عظيم الفاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ قد جهل عقلانية الإسلام ـ كما جاءت فى مصادره ـ فلماذا تجاهل ما كتبه علماء الغرب فى هذا الميدان.. وهو شهير ومنشور بمختلف اللغات الغربية التى يتقنها عظيم الفاتيكان؟!

أم أن «الغرض» هو «المرض»!.. الذى جعل الرجل يتجاهل هذا «المقال الغربى» فى عقلانية الإسلام.. ولا عقلانية المسيحية التى انتصر عليها الإسلام؟!..

***

(١) أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص٨٩ ـ ٩١ . ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى. طبعة القاهرة ١٩٧٠م. وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص ٩٩، ١٠٠، ٨٧، ٨٨.

● ويا ليت الأمر قد وقف بهذا البابا عند «الجهل» و «التجاهل»!! . .

ذلك أن بابا الڤاتيكان ـ بنديكتوس السادس عشر ـ قد استند فى حكمه على الإيمان الإسلامى بأنه لا عقلانى ولا منطقى . . وأنه «إيمان وثنى أعمى»! . . استند إلى نص منسوب إلى الإمام الفيلسوف والفقيه ابن حزم الأندلسى [٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ ـ ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م] . . فقال :

«لقد ذهب ابن حزم إلى حد الإقرار بأن الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وأنه ما من شىء يلزمه بكشف الحقيقة لنا . . ».

ثم علق البابا ـ فى محاضرته ـ على هذه «الفكرة» المنسوبة لابن حزم، فقال ـ مقارنًا هذه «الفكرة» باعتقاده المسيحى ـ :

«إن القول الفصل فى النقاش حول التحول العقائدى باستخدام العنف هو أن عدم التصرف وفقًا للعقل هو أمر مناهض لطبيعة الرب. ولكن بالنسبة للتعاليم الإسلامية فإن الرب مطلق السمو، فمشيئته لا تتماشى مع أى من خصائصنا، بما فيها العقلانية».

ثم خلص ـ هذا البابا ـ إلى وصف الإيمان الإسلامى بأنه إيمان وثنى أعمى . . وبنص عبارته :

«ففيما يتعلق بإرادة الله ـ [فى الإسلام] ـ فإنه ينبغى علينا التعبد بشكل وثنى أعمى»!!

وأمام هذا الحكم الفاجر ـ وليس فقط الجائر ـ على الإيمان الإسلامى . . لا بد من وقفات :

● إن بابا الڤاتيكان ـ بنديكتوس السادس عشر ـ هو أستاذ للفلسفة، مارس العمل الأكاديمى وتقاليد البحث العلمى الأكاديمية قبل أن ينخرط فى سلك الكهنوت . . ولقد تولى ـ فى الڤاتيكان ـ قبل البابوية «عمادة كلية الكاردينالات» . . ومن تقاليد البحث العلمى ـ التى يعرفها حتى المبتدئون فى هذا الميدان ـ الرجوع فى الاستشهاد بالنصوص إلى مصادرها الأصلية، فهل صنع ذلك بابا الڤاتيكان ـ وهو أستاذ الفلسفة ـ عندما استشهد بابن حزم، وأسس حكمه على الإيمان الإسلامى بأنه لا عقلانى ووثنى أعمى، بناء على هذا «الشاهد» الذى استشهد به؟!

إن أستاذ الفلسفة ـ الحبر الأعظم للڤاتيكان ـ قد خان أمانة البحث العلمى . . واستند إلى «شهادة شاهد مزور وكاذب»!!..

فهو لم يرجع إلى ابن حزم ـ وكتبه مترجمة إلى العديد من اللغات الغربية ـ وإنما اعتمد ـ هذا الأستاذ للفلسفة ـ على «منهج العنعنات» . . فاستند إلى مسيحى لبنانى هو «عادل تيودور خورى» . . الذى لم يرجع هو الآخر إلى المصادر الأصلية لابن حزم . . وإنما أخذ عن باحث فرنسى فى الإسلاميات ، هو «أرنادليز»! . . وهذه سقطة وخيانة لتقاليد البحث العلمى ما كان يليق ببابا الڤاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ أن يقع فيها . . خصوصًا عندما يتحدث فى محاضرة فلسفية ـ عن علاقة الإيمان بالعقل ـ فى الجامعة التى كان يدرس فيها الفلسفة . . وإلى نخبة من الأساتذة الجامعيين الأكاديميين! . . ثم يرتب على هذه السقطة وشهادة الزور ذلك الحكم الجاهل والفاجر على الإيمان الإسلامى ـ الذى يتدين به مليار ونصف المليار من البشر ـ وهو الإيمان الذى يقض انتشاره مضاجع البابا حتى فى عقر داره الأوروبية!

● ولقد ظننت ، فى بادئ الأمر ـ لحسن ظنى بأمانة الرجل الأكاديمية ـ أن الأمر لا يعدو أن يكون إساءة فهم منه للفكرة المنسوبة لابن حزم . . وظننت أن ابن حزم يدافع عن طلاقة المشيئة الإلهية والقدرة الإلهية فى مواجهة المعتزلة الذين «أوجبوا» على الله فعل الصلاح والأصلح ـ الأمر الذى يوهم أنهم قد حدوا من طلاقة القدرة والمشيئة الإلهية ـ وأن الأمر لا يعدو الرفض ـ من ابن حزم ـ لتقييد المشيئة الإلهية والقدرة الربانية . .

لكن . . عنَّ لى أن أختبر مدى الصدق والأمانة فى هذا الذى نسبه البابا إلى ابن حزم ، نقلاً عن «الأساتذة» الكاثوليك ـ عادل تيودور خورى . . وأرنادليز .

ولم يكن هذا الاختبار بالأمر السهل أو الميسور . . وذلك لأن البابا ـ أستاذ الفلسفة ـ قد وقع فى سقطة علمية أخرى عندما نسب كلامًا لابن حزم ، دون أن يقول لنا : ما هو الكتاب الذى قال فيه ابن حزم هذا الكلام؟

إن لابن حزم عشرات الكتب . . وبعض هذه الكتب تبلغ مجلداتها العشرات . . ففى أى كتاب؟ . . أو جزء؟ . . أو صفحة؟ . . وفى أية طبعة من الطبعات يمكن العثور على هذا الذى نسبه البابا إلى الإمام ابن حزم؟ . . بل . . وفى أية لغة من اللغات التى ترجم إليها فكر ابن حزم تم النقل عنه من قبل الذين نقل عنهم بابا الڤاتيكان؟؟!

لكن خطر القضية . . وخطورة الحكم الذى حكم به البابا ـ أستاذ الفلسفة ـ على الإيمان الإسلامى، جعلنى أستعين بالخبرة فى التعامل مع المصادر . . ومظان القضايا والأفكار . . حتى هدانى الله فعثرت على المصدر الذى تحدث فيه ابن حزم حول هذا الموضوع ـ فى كتابه [الفصل فى الملل والأهواء والنحل] . .

ولقد كانت المفاجأة الأعظم عندما اكتشفت الكذب البواح والاغتيال الفكرى الصريح الذى مارسه الحبر الأعظم ـ و «الأساتذة» الكاثوليك الذين نقل عنهم ـ ضد أفكار ابن حزم حول طلاقة المشيئة الإلهية ولا محدودية القدرة الإلهية . .

منهج الاغتيال الفكرى على طريقة [لا تقربوا الصلاة] و [ويل للمصلين]!! . .

فابن حزم لم يرد فى كلامه ولم يخطر بباله أن يقول: «**إن الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وإنه ما من شيء يلزمه بكشف الحقيقة لنا . .**» . . ومن ثم لم يقل إن مشيئة الله منفكة عن العدل والمنطق المعقول والصلاح والأصلح . . وإنما ميز بين قدرة البشر المحدودة . . وبين قدرة الله التى لا تحدها حدود . . وأكد ـ فى الوقت ذاته ـ بالنصوص الصريحة اتساق المشيئة الإلهية مع الحكمة والرحمة والعدل والمنطق والعقل . . لأنه ـ سبحانه ـ مع طلاقة مشيئته وقدرته، لا يفعل الظلم ولا الجور ولا العبث ولا الكذب، مما لا يليق بذاته المتصفة بصفات الجلال والجمال والكمال . . ومن ثم فلا يصدر عنه ـ سبحانه ـ ما ينافى الحكمة والعقل والمنطق . . لأن فعل ذلك هو من صفات المخلوقين، وليس من صفات الخالق . . وهو ـ سبحانه ـ الذى كتب على نفسه الرحمة . . والذى لا يظلم أحداً . . والذى لا يأمر بالفحشاء ولا المنكر . . والذى أحسن كل شيء خلقه وقدره تقديراً . .

لقد كشفت نصوص ابن حزم عن حقيقة الإيمان الإسلامى ـ الإيمان بمشيئة إلهية وقدرة ربانية لا تعرف الحدود . . ولا تتناهى . . وفى الوقت ذاته منزهة عن مجاوزة الحكمة والرحمة والعدل والمنطق والعقلانية بكل ما تعنى هذه المصطلحات عند الذين يفقهون ويعقلون . . وحتى تتكشف «العورة الفكرية» و «السقطة المنهجية» و «الكذبة الكبرى» التى سقط فيها «أستاذ الفلسفة» والحبر الأعظم للفاتيكان ـ هو وحزبه ـ نورد نصوص الإمام ابن حزم حول القدرة الإلهية والمشيئة الربانية فى التصور العقدى للإسلام والمسلمين . . وهو فى هذه النصوص يقول لمن يسأل:

ـ هل طلاقة القدرة الإلهية ـ القادر على كل شىء ـ تجعله فاعلاً للكذب مثلاً ـ وهو فى مقدوره؟

فيقول ابن حزم ـ فى جواب هذا السؤال ـ :

«إن الله تعالى فعال لما يشاء، وعلى كل شىء قدير . . [وكان الله عليمًا قديرًا] فأطلق تعالى لنفسه القدرة، وعم ولم يخص، فلا يجوز تخصيص قدرته بوجه من الوجوه . . فإن قال قائل: فما يؤمنكم إذ هو تعالى قادر على الظلم والكذب والمحال من أن يكون قد فعله أو لعله سيفعله فتبطل الحقائق كلها ولا تصح، ويكون كل ما أخبرنا به كذبًا؟» .

ثم يجيب ابن حزم على سؤال هذا القائل:

«وجوابنا فى هذا . . أن الله تعالى قادر عليه ولكن لا يفعله . . وأنه تعالى لا يجور ولا يكذب . . ولا يظلم، وأنه تعالى قد أخبرنا بأنه قد تمت كلماته صدقًا وعدلاً لا مبدل لكلماته، وأنه تعالى قادر، وليس كل ما يقدر عليه يفعله . . وكل من يدين بأن الله حق مجمعون على أنه تعالى لا يكذب ولا يظلم . . وقد صح إطباق جميع سكان الأرض قديمًا وحديثًا، لا نحاشى أحدًا، على أن الله تعالى لا يظلم ولا يكذب . .

ولقد قام البرهان على أنه تعالى لا يشبهه شىء من خلقه فى شىء من الأشياء، والخلق عاجزون عن كثير من الأمور، والعجز من صفة المخلوقين، فهو منفى عن الله عز وجل جملة، وليس فى الخلق قادر بذاته على كل مسئول عنه، فوجب أن البارى تعالى هو الذى يقدر على كل مسئول عنه. وكذلك الكذب والظلم من صفات المخلوقين، فوجب يقينًا أنهما منفيان عن البارى تعالى.

فهذا هو الذى آمننا من أن يظلم أو يكذب أو يفعل غير ما علم أنه يفعله، وإن كان تعالى قادرًا على ذلك»[1] .

هذه هى نصوص الإمام ابن حزم الأندلسى، حول الإيمان الإسلامى بطلاقة المشيئة الإلهية، ولا محدودية القدرة الإلهية . . وفى الوقت ذاته تنزيه الذات الإلهية عن كل ما لا يليق بالحكمة المطلقة . . والعدل المطلق . . والرحمة المطلقة . .

---

(١) ابن حزم [الفصل فى الملل والأهواء والنحل] جـ٢ ص١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨ ـ طبعة مكتبة محمد على صبيح وأولاده ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

لقد تنزه ـ سبحانه ـ عن العجز البشرى . . وعن فعل ما لا يليق بذاته المنزهة . . لقد خلق كل شىء بقدر . . وكتب على نفسه الرحمة . . وهو ﴿الَّذى أَنزَلَ الْكتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى : ١٧] ـ ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد : ٢٥] ومن ثم فلا تناقض بين طلاقة قدرته ـ سبحانه ـ وبين الحكمة والمنطق والعقل ـ كما يفهمها الحكماء والعقلاء . .

تلك هى الحقيقة التى «جهلها ـ وتجاهلها» بابا الفاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ فافترى على الإمام ابن حزم، ونسب إليه ما لم يقله . . بل افترى عليه عكس ما قاله ! ! . .

لقد قال ابن حزم : «لقد أخبرنا الله تعالى بأنه قد تمت كلماته صدقًا وعدلاً لا مبدل لكلماته» .

وافترى البابا على ابن حزم عندما نسب إليه عبارة : «إن الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة» ! !

وهكذا بلغ الافتراء حد الفجور . . ثم صعد به إلى حيث عممه على الإيمان الإسلامى، فوصفه بأنه «إيمان وثنى أعمى» ! ! . . فلم يقف الافتراء عند ابن حزم . . وإنما عممه البابا على الإسلام . . وكل المؤمنين بالإسلام ! . .

وهكذا تأسس الافتراء الغريب والعجيب على فضيحة علمية من «الوزن الثقيل» ! . . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* * *

ـ ٤ ـ

الافتراء على رسول الإسلام

ثم . . هل يليق بعظيم الفاتيكان، أن يقتبس الافتراءات التى تتحدث عن أن رسول الإسلام ﷺ لم يأت إلا بما هو سيئ ولا إنسانى وشرير؟!! . . ومن ذلك حضه على نشر دينه بالسيف؟!! . .

وإذا كانت «خارطة العالم الإسلامى» تقول: إن أربعة أخماس الأمة الإسلامية لم يدخل بلادها جيش إسلامى فاتح . . ولا عرفت فى تاريخها حروبًا ولا فتوحات . . وإنما دخلها الإسلام وانتشر فيها بالقدوة والأسوة وتميز منظومة القيم والأخلاق التى جاء بها الإسلام ـ والتى حملها إلى هذه البلاد التجار والعلماء والمتصوفة . .

كما تقول حقائق تاريخ الفتوحات الإسلامية: إن هذه الفتوحات جميعها إنما تمت ضد قوى الهيمنة الاستعمارية والحضارية التى قهرت الشرق واستعمرته ونهبته لعشرة قرون ـ من «الإسكندر الأكبر» [٣٥٦ ـ ٣٢٤ ق . م] ـ فى القرن الرابع قبل الميلاد ـ إلى «هرقل» [٦١٠ ـ ٦٤١م] ـ فى القرن السابع للميلاد . .

وتقول هذه الحقائق ـ كذلك ـ بأن جميع معارك تلك الفتوحات الإسلامية إنما كانت ضد جيوش الاستعمار البيزنطى والفارسى، ولم تدر معركة واحدة ضد أهل البلاد من الشرقيين . .

بل وتقول هذه الحقائق ـ أيضًا ـ إن الشعوب الشرقية قد وقفت مع جيوش الفتح الإسلامى ضد المحتلين البيزنطيين الرومان؛ لأنها رأت فى الفتح الإسلامى تحريرًا للأرض والأوطان من النهب الرومانى، وتحريرًا للشرق من القهر الحضارى البيزنطى . . وتحريرًا للمسيحية الشرقية وضمائر أهلها من الاضطهاد الدينى ـ بل

والإبادة ـ التى مارستها الكنيسة الرومانية ضد النصرانية الشرقية . . وقفت هذه الشعوب الشرقية جميعها مع جيوش الفتح الإسلامى، وهى على دياناتها السابقة على الإسلام . .

ولقد شهد الأساقفة النصارى الشرقيون ـ ومنهم شهود العيان على هذا الفتح الإسلامى ـ على أن هذا الفتح إنما كان «**إنقاذًا**» للنصرانية الشرقية ـ التى اضطهدها الرومان ـ وتحريرًا للكنائس والأديرة الشرقية ـ التى اغتصبها الرومان ـ . . وعلى أن هذا الفتح إنما جاء «**عقابًا إلهيًا**» ـ بيد إسلامية ـ للرومان على ظلمهم الذى مارسوه ضد الشرق والشرقيين لعشرة قرون . .

● شهد بهذه الحقيقة ـ التى تجاهلها عظيم الفاتيكان ـ الأسقف القبطى «يوحنا النقيوسى» . . فقال :

«إن الله ـ الذى يصون الحق ـ لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدى الإسماعيليين ـ [العرب المسلمين] ـ ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر . .

وكان هرقل حزينا . . وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا فى مدينة مصر، وبأمر الله الذى يأخذ أرواح حكامهم . . مرض هرقل ومات . .

وكان عمرو ـ [بن العاص ٥٠ ق . هـ ـ ٤٣هـ/ ٥٧٤ ـ ٦٦٤م] ـ يقوى كل يوم فى عمله، ويأخذ الضرائب التى حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما، سلبًا أو نهبًا، وحافظ عليها ـ [الكنائس] ـ طوال الأيام»[١] .

● وشهد بذلك بطرك المصريين «بنيامين» [٣٩هـ/ ٦٥٩م] ـ الذى ظل هاربًا من مطاردة الرومان ثلاثة عشر عامًا . . حتى جاء الفتح الإسلامى فأمّنه . . وأعاده إلى كرسى كنيسته . . وأعاد إليه كنائس رعيته وأديرتهم من الاغتصاب الرومانى . . فخطب فى «دير مقاريوس» ـ بعد التحرير الإسلامى ـ فقال :

«لقد وجدت فى الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التى قام بتمثيلها الظلمة المارقون»[٢] .

---

(١) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى : رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ص٢٠١، ٢٢٠ . ترجمة ودراسة : د. عمر صابر عبدالجليل . طبعة القاهرة ٢٠٠٠م .

(٢) المصدر السابق : ص٢٢٠ .

● ولقد وصف الأسقف «يوحنا النقيوسى» فرح المصريين بانتصار المسلمين على الرومان . . وبهجتهم بتحرير المسلمين للبطرك «بنيامين» ورد الكنائس والأديرة إلى أهلها . . وصف ذلك الذى شهدته عيناه، فقال :

«ودخل الأنبا «بنيامين» بطرك المصريين مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم فى العام ١٣ ـ [أى العام الثالث عشر من تاريخ هروبه] ـ وسار إلى كنائسه، وزارها كلها .

وكان كل الناس يقولون : هذا النفى، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا «كيرس» ـ [البطرك المعين من قبل الدولة الرومانية فى مصر] ـ . . وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر . . »[1] .

● كما شهد بذلك الأسقف «ميخائيل السريانى» ـ بعد خمسة قرون من الفتح التحريرى الإسلامى ـ فقال ـ فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى ـ :

«وهذا هو السبب أن إله الانتقام الذى تفرد بالقوة والجبروت، والذى يديل دولة البشر كما يشاء فيؤتيها من يشاء . . لما رأى شرور الروم الذين لجؤوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا فى كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب من غير رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم . . ولم يكن كسبا هينًا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام»[2] .

. . وهكذا رأى ميخائيل الأكبر ـ بطريق أنطاكية اليعقوبى ـ «أصبع الله فى الفتوح العربية، حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامى خمسة قرون»[3] ـ كما يقول العالم الإنجليزى توماس أرنولد .

● وشهد على هذا الطابع التحريرى للفتح الإسلامى، العلامة سير توماس أرنولد [١٨٦٤ ـ ١٩٣٠م] فقال :

---

(١) المصدر السابق : ص٢٢٠ .
(٢) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص٧٢، ٧٣ ـ وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص١٣٨ .
(٣) [الدعوة إلى الإسلام] ص٧٢ .

«إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين نعموا ـ بوجه الإجمال ـ فى ظل الحكم الإسلامى، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً فى أوروبا قبل الأزمنة الحديثة.

وإن دوام الطوائف المسيحية فى وسط إسلامى يدل على أن الاضطهادات التى قاست منها بين الحين والآخر على أيدى المتزمتين والمتعصبين، كانت من صنع الظروف المحلية، أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح»[1].

● وشهد بذلك ـ أيضا ـ المستشرق الألمانى الحجة «آدم متز» [١٨٦٩ ـ ١٩١٧م] عندما قال:

«لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام»![2].

● ولقد استمرت شهادات الإنصاف للفتوحات الإسلامية ـ من رجال الدين.. والمؤرخين غير المسلمين ـ حتى القرن العشرين.. فكتب يعقوب نخلة روفيلة [١٨٤٧ ـ ١٩٠٥م] فى كتابة [تاريخ الأمة القبطية] يقول:

«ولما ثبت قدم العرب فى مصر، شرع عمرو بن العاص فى تطمين خواطر الأهلين باستمالة قلوبهم إليه، واكتساب ثقتهم به، وتقريب سراة القوم وعقلائهم منه، وإجابة طلباتهم.

وأول شىء فعله من هذا القبيل: استدعاء «بنيامين» البطريرك، الذى اختفى من أيام هرقل ملك الروم، فكتب أمانًا وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور، ولا خوف عليه ولا تثريب، ولما حضر، وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع، أكرمه، وأظهر له الولاء، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته، وعزل البطريرك الذى كان أقامة هرقل، ورد «بنيامين» إلى مركزه الأصلى معززًا مكرمًا..

وكان بنيامين موصوفًا بالعقل والمعرفة والحكمة حتى سماه بعضهم (بالحكيم).. وقيل إن عمرا لما تحقق ذلك منه، قربه إليه، وصار يدعوه فى بعض الأوقات ويستشيره فى الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها. وقد حسب الأقباط هذه الالتفات منّة عظيمة وفضلاً جزيلاً لعمرو.

---

(١) المصدر السابق: ص٧٢٩، ٧٣٠.

(٢) آدم متز [الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى] جـ١. ص١٠٥. ترجمة: د. محمد عبدالهادى أبو ريدة. طبعة بيروت ١٩٦٧م.

واستعان عمرو فى تنظيم البلاد بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالى، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كلاً منها حاكم قبطى ينظر فى قضايا الناس ويحكم بينهم، ورتب مجالس ابتدائية واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوى نزاهة واستقامة، وعين نوابًا من القبط ومنحهم حق التداخل فى القضايا المختصة بالأقباط والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية والأهلية، وكانوا بذلك فى نوع من الحرية والاستقلال المدنى، وهى ميزة كانوا قد جردوا منها فى أيام الدولة الرومانية.

وضرب [عمرو بن العاص] الخراج على البلاد بطريقة عادلة.. وجعله على أقساط، فى آجال معينة، حتى لا يتضايق أهل البلاد..

وبالجملة، فإن القبط نالوا فى أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها من أزمان..»[1].

هكذا شهدت هذه الشهادات ـ التى كتبها أقباط ومستشرقون ـ منهم من كان شاهد عيان على الفتوحات الإسلامية.. شهدت على أن هذه الفتوحات:

● هى التى أنقذت النصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية..

● وأعادت الشرعية والعلنية والحرية لهذه النصرانية الشرقية، بعد أن حظرها الرومان، وعاملوها باعتبارها هرطقة ممنوعة ـ وبعبارة «ميخائيل الأكبر ـ السريانى»: «فإن الإمبراطور الرومانى لم يسمح لكنيستنا المونوفيزتية ـ [القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح] ـ بالظهور، ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التى نهبت؛ ولهذا فقد انتقم الرب منه».

● وحررت دور العبادة النصرانية ـ الكنائس والأديرة ـ من الاغتصاب الرومانى، لا ليتخذها المسلمون مساجد، وإنما أعادوها إلى النصارى الوطنيين.. حتى «ليروى أنه خرج للقاء عمرو بن العاص من أديرة وادى النطرون ـ بمصر ـ سبعون ألف راهب، بيد كل واحد عكاز، فسلموا عليه، وأنه كتب لهم كتابًا ـ [بالأمان] ـ هو عندهم..»[2].

● وحررت ـ هذه الفتوحات الإسلامية ـ الناس.. فأشركتهم فى حكم بلادهم..

---

(١) يعقوب نخلة روفيلة [تاريخ الأمة القبطية] ص٥٤ ـ ٥٧. تقديم: د. جودت جبرة. طبعة مؤسسة مارمرقس لدراسة التاريخ ـ القاهرة ٢٠٠٠م.

(٢) د. صبرى أبو الخير سليم [تاريخ مصر فى العصر البيزنطى] ص١٩٤. طبعة القاهرة ٢٠٠١م.

وأعادت إليهم استقلالهم القانونى . . والقضائى . . والمدنى . . الذى حرموا منه طوال قرون الاستعمار الرومانى . .

● كما أعادت العدالة الاجتماعية إلى هذه البلاد، عندما نظمت الضرائب. وجعلتها على أقساط . . وفى آجال محددة . . وحصرتها فى ضريبتين بعد أن كان المواطن يدفع أربع عشرة ضريبة للرومان!

● وعاد الطابع الوطنى للنصرانية الشرقية وكنائسها ورئاساتها . . فعزل عمرو بن العاص «البطرك ـ الاستعمارى» الرومانى . . وأعاد البطرك «بنيامين» إلى كرسى كنيسته الوطنية المصرية . .

● وإذا كان المستشرق الألمانى الحجة «آدم متز» قد وصف حال النصارى فى ظل الدولة الإسلامية فقال:

«لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام» . . فإن هؤلاء النصارى قد حرموا من حرياتهم المدنية . . والسياسية . . والقانونية . . والقضائية . . والثقافية . . واللغوية طوال القرون التى ابتليت بلادهم فيها باستعمار الرومان والبيزنطيين . .

● ولذلك، كان استقبال شعوب الشرق للفاتحين المسلمين كمحررين . . وبعبارة المؤرخ النصرانى «جاك تاجر» [١٩١٨ ـ ١٩٥٢م]:

«فإن الأقباط قد استقبلوا العرب كمحررين، بعد أن ضمن لهم العرب ـ عند دخلوهم مصر ـ الحرية الدينية، وخففوا عنهم الضرائب . . ولقد ساعدت الشريعة الإسلامية الأقباط على دخولهم الإسلام وإدماجهم فى المجموعة الإسلامية، بفضل إعفائهم من الضرائب . . أما الذين ظلوا مخلصين للمسيحية، فقد يسر لهم العرب سبل كسب العيش . . إذ وكلوا لهم أمر الإشراف على دخل الدولة»[(١)].

● وحتى البابا شنودة الثالث [١٩٢٣ ـ] ـ بابا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ـ أكبر كنائس الشرق وأعرقها ـ والذى كتب عن عدل الإسلام وسماحته، وعن عدل الخلفاء والحكام المسلمين مع غير المسلمين . . فقال عن عدل الراشد الثانى عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ ـ ٢٣هـ ٥٨٤ ـ ٦٤٤م]:

(١) د. چاك تاجر [أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢م] ص٣٠٩، ٣١٥ . طبعة الهيئة القبطية بالمهجر . مدينة جرمى ـ أمريكا ١٩٨٤م.

«لقد رأينا فى التاريخ الإسلامى أمثلة واضحة للسماحة الإسلامية . . نذكر منها أن الخليفة عمر بن الخطاب حينما اقترب من الموت أوصى من يأتى بعده فى الخلافة من جهة أهل الكتاب بأمرين :

الأمر الأول : وفاء العهود التى أعطيت لهم .

والأمر الثانى قال فيه : ولا تكلفوهم فوق ما يطيقون .

. . وحينما كان الوليد بن عقبة واليًا على بنى تغلب ومن فيهم من نصارى . . ورأى عمر أن الوليد هدد هؤلاء الناس وتوعدهم ، عزله من الولاية حتى لا يلقى بهم شرًا . . وهكذا كان المسلمون يسلكون فى العدل بين رعاياهم ، أيا كان مذهبهم . .

ولقد انتهت حياة عمر بن الخطاب على الأرض ، وانتهت مدة خلافته ، ولكن الخير الذى عمله لم يمت بموته إطلاقا ، ولا يزال حيًا الآن يملأ الآذان ويملأ الأذهان . . ويحيا مع الناس على مدى الأزمان» . .

كما تحدث البابا شنودة عن سماحة الخليفة معاوية بن أبى سفيان [٢٠ق . هـ - ٦٠هـ/ ٦٠٣ - ٦٨٠م] مع غير المسلمين . . فقال :

«لقد كان طبيبه الخاص نصرانيًا . . واختار رجلا مسيحيًا لكى يؤدب ابنه يزيد . . ويزيد هذا اختار كاهنًا مسيحيًا لكى يؤدب ابنه خالدًا» .

وتحدث عن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان [٢٦ - ٨٦هـ/ ٦٤٦ - ٧٠٥م] فقال :

«لقد اتخذ يوحنا الدمشقى [٥٥ - ١٢٢هـ/ ٦٧٥ - ٧٤٠م] مستشارًا له . . وقد اختار رجلاً معلمًا مشهورا اسمه «أطانا سيوس» لكى يؤدب أخاه عبد العزيز . . ولما صار عبد العزيز بن مروان حاكمًا لمصر أخذ «أطانا سيوس» معه كمستشار له . . ونجد أن الأخطل [١٩ - ٩٠هـ/ ٦٤٠ - ٧٠٨م] كان من الشعراء المسيحيين المشهورين ، واندمج فى مجموعة متلازمة مع جرير [٢٨ - ١١٠هـ/ ٦٤٠ - ٧٠٨م] والفرزدق [١١٠هـ/ ٧٢٨م] واشتهرت هذه المجموعة فى العصر الأموى . . وكان الأخطل المسيحى حينما يدخل إلى مساجد المسلمين يقوم المسلمون له إجلالا لعلمه وأدبه - كما يروى التاريخ الإسلامى» . .

كذلك يشهد البابا شنودة للخليفة الأموى هشام بن عبد الملك [٧١ ـ ١٢٥هـ/ ٦٩٠ ـ ٧٤٣م] فيقول :

«إنه ابتنى للبطريرك فى أيامه بيتًا إلى جوار قصره، وكان يستمع منه إلى صلواته وعظاته . . » .

ويشهد ـ كذلك ـ للعصر العباسى، فيقول :

عن أبى جعفر المنصور [١٣٦ ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٣ ـ ٧٧٤م] : **«إن طبيبه الخاص كان مسيحيًا اسمه "جرجس بن بختيشوع . . وكان الخليفة هارون الرشيد [١٤٩ ـ ١٩٣هـ/ ٧٦٦ ـ ٨٠٩م] يقول للناس :**

من كان منكم له حاجة عندى فليكلم فيها جبرائيل؛ لأنى لا أرد له طلبًا . . وكان يوحنا مشهورا من أيام الرشيد إلى أيام المتوكل [٢٠٦ ـ ٢٤٧هـ/ ٨٢١ ـ ٨٦١م] . . وكان هؤلاء الخلفاء يدعونه إلى موائدهم، وما يأكلون شيئا إلا فى حضرته . . وكان حنين بن إسحق من أشهر الأطباء فى العصر الإسلامى، حتى قيل عنه إنه أبو قراط عصره وجالينوس دهره . . وحنين بن إسحق هذا تعلم الفقه على يد الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ ـ ٢٤١هـ/ ٧٨٠ ـ ٨٥٥م] وكذلك اللغة على يد سيبويه [١٤٨ ـ ١٨٠هـ/ ٧٦٥ ـ ٧٩٦م] ونبغ فى اللغة العربية نبوغًا عظيمًا . . » .

كما شهد البابا شنودة للدولة الطولونية، ومؤسسها أحمد بن طولون [٢٢٠ ـ ٢٧٠هـ/ ٨٣٥ ـ ٨٨٤م] **«الذى كان من المحبين للأقباط كثيرًا، والذى اختار مسيحيًا لكى يبنى له مسجده . . واختار مسيحيًا لكى يبنى القناطر وكثيرًا من منشآته . . وكان يذهب كثيرا لزيارة دير القصير، وكان على صلة وثيقة برهبانه هناك . . فلقد كانت الأديرة المصرية دائمًا مجالاً لالتقاء الخلفاء والولاة، وكانوا يحبونها، ويقضون فيها الكثير من الوقت، ويصادقون رهبانها وأساقفتها»** . .

كما شهد البابا شنودة للدولة الإخشيدية، ومؤسسها محمد بن طغج الإخشيد (٢٦٨ ـ ٣٣٤هـ/ ٨٨٢ ـ ٩٤٦م] **«الذى كان يبنى الكنائس بنفسه ويتولى ترميمها»** .

كما شهد للدولة الفاطمية . . فقال : **«ولا أستطيع أن أذكر مقدار اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكنائس وبنائها وترميمها . . »** .

ثم يختم البابا شنودة شهادته للتاريخ الإسلامى والسماحة الإسلامية، فيقول:

«كما تولى الخلفاء والحكام إقامة الوحدة الوطنية ورعايتها . . »[1].

❊ ❊ ❊

فهلاّ قرأ عظيم الفاتيكان هذه الشهادات ـ التاريخية . . والمعاصرة ـ على هذه الحقائق . . قبل أن يفترى على الإسلام ورسوله ﷺ فرية الانتشار بحد السيف؟! . .

وإذا كان الرجل قد جهل هذا التراث الشرقى ـ القديم . . والحديث . . والمعاصر . . فلماذا تجاهل الكتابات الغربية الحديثة التى أنصفت الفتوحات الإسلامية . . وأعلنت أن الانتشار الإسلامى إنما تم سلمًا . . بل وحتى دون وجود «مؤسسة دعوية تبشيرية» تقوم على نشر الإسلام! . .

لقد قال «چورچ سيل» [١٦٩٧ ـ ١٧٣٦م] ـ وهو مترجم القرآن إلى الإنجليزية ـ:

● **«لقد صادفت شريعة محمد ترحيبًا لا مثيل له فى العالم . . وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما ينخدعون انخداعًا عظيمًا»**[2].

● وقال العلامة «سير توماس أرنولد»:

«إن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق . . إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى . .[3] **. . ولقد قيل إن «جستنيان» [٤٨٣ ـ ٥٦٥م] ـ الإمبراطور الرومانى ـ أمر بقتل مائتى ألف من القبط فى مدينة الإسكندرية، وإن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء.**

وقد جلب الفتح الإسلامى إلى هؤلاء القبط . . حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها من قبل ذلك بقرن من الزمان . .

---

(١) من خطاب البابا شنودة فى احتفال وضع الحجر الأساسى لمستشفى مارمرقس ـ بحضرة الرئيس أنور السادات ـ فى ١١ أكتوبر ١٩٧٧م ـ انظر مجلة [وجهات نظر] ص١٨ ـ ٢٠ . عدد ديسمبر ٢٠٠٥م ـ القاهرة.

(٢) [الدعوة إلى الإسلام] ص١٨٥ ـ وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص٨١ .

(٣) [الدعوة إلى الإسلام] ص٨٨، ١٦١ ـ وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص١٣٥ .

ويظهر أن حالة القبط فى الأيام الأولى من حكم المسلمين كانت معتدلة نوعًا ما .

وليس هناك شاهد من الشواهد على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم فى الإسلام على نطاق واسع كان راجعًا إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين . . بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح ، حين كانت الإسكندرية ـ حاضرة مصر وقتئذ ـ لا تزال تقاوم الفاتحين ، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة . . »[1] .

● بل وأثبت هذا العلامة ـ سير توماس أرنولد ـ أن المسيحية الغربية هى التى انتشرت بالسيف والعنف ! ! . .

ـ فلقد فرض «شارلمان» [٧٤٢ ـ ٨١٤م] التعميدات المسيحية على السكسونيين الوثنيين بحد السيف . .

ـ وفى الدانمرك استأصل الملك «كنوت» Cnut [٩٩٥ ـ ١٠٣٥م] الوثنية من ممتلكاته بالقوة والإرهاب . .

ـ وجماعة إخوان السيف Bretheren of the Sword وغيرهم من الصليبيين ، الذى أدوا رسالتهم بالسيف والنار فى تنصير البروسيين الوثنيين . .

ـ ولقد فرض فرسان Ordo Fratram Miliuechris المسيحية على شعب ليفونيا فرضا . . .

ـ وفى ١٦٩٩م وجه «ڤالنتين» Valentyn إلى رجوات Rajas جزيرة أمبوينا Amboyna مرسوما يأمرهم فيه بإعداد طائفة معينة من الوثنيين لتعميدهم إذا ما طاف بهم راعى الكنيسة . . وربما حل الاضطهاد والتنصير الإجبارى محل الدعوة الهادئة إلى «كلمة الله» .

ـ وفى ڤيكن Viken (القسم الجنوبى من النرويج) كان الملك «أولاف ترايجفيسون» Olaf trygvesson [٩٦٣ ـ ١٠٠٠م] يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول فى المسيحية ، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم ، أو بنفيهم وتشريدهم . وبهذه الوسائل نشر الدين فى «ڤيكن» بأسرها .

---

(١) [الدعوة إلى الإسلام] ص١٢٣ ، ١٢٤ ـ وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص٨٥ ، ٨٦ .

ـ ووصية القديس لويس [١٢١٤ ـ ١٢٧٠م] تقول: «عندما يسمع الرجل العامى أن الشريعة المسيحية قد أسيء إلى سمعتها، فإنه ينبغى ألا يذود عن تلك الشريعة إلا بسيفه، الذى يجب أن يطعن به الكافر فى أحشائه طعنة نجلاء»!

ـ وفى المجر أرغم الملك «شارل روبرت» جميع رعاياه ـ من «الباشغردية» بعد ١٣٤٠م على اعتناق المسيحية ـ بعد أن كانوا مسلمين ـ أو مغادرة البلاد.

ـ وفى ١٧٠٣م أباد الأسقف ـ الحاكم ـ «دانيال پيتروفتش» D. petrovich ـ فى الجبل الأسود ـ جميع المسلمين الذين لم يتحولوا عن الإسلام إلى المسيحية.. فى ليلة عيد الميلاد!

ـ وفى روسيا فرض ملكها «فلاديمير» Vladimir ٩٨٨م النصرانية على جميع رعاياه ـ سادة وعبيدا.. أغنياء وفقراء ـ فسيقوا جميعا إلى التعميد بمجرد اعتناق الملك للمسيحية.. ولم ينفتح باب الحرية الدينية فى روسيا إلى ١٩٠٥م!.. وكانت عقوبة التحول عن المسيحية التجريد من الحقوق المدنية، والسجن ـ مع الأشغال الشاقة ـ ما بين ثمانى وعشر سنوات!

ـ وفى الحبشة جعل الملك «سيف أرعد» [١٣٤٢ ـ ١٣٧٠م] الإعدام عقوبة للمسلمين الذين يرفضون التحول إلى المسيحية.. أو النفى من بلادهم!.. وكذلك صنع ملكها «جون».. الذى أجبر ١٨٨٠م ما يقرب من خمسين ألفا من المسلمين على التعميد!.. كما أجبر نصف مليون من قبائل الجلا على اعتناق المسيحية[1]!

***

فأى الدينين ـ الإسلام؟.. أم المسيحية؟ ـ هو الذى انتشر بالسيف ـ يا عظيم الفاتيكان؟ ـ.. وتلك هى الشهادات الغربية التى تحكى ـ بالوقائع ـ كيف كانت العقلانية هى سر انتشار الإسلام.. وكيف كان السيف هو أداة انتشار المسيحية.. وخاصة فى أوروپا.. وفى موطنك ـ پروسيا ـ على وجه التحديد، كان السيف والنار

---

(١) المصدر السابق: ص٣٠، ٣٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤ ـ ٢٧٦، ٢٧٨ ـ ٢٨١، ٢٨٣، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٦، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٧، ٤١ ـ ١٤٣.

أداة نشر المسيحية من قبل جماعة «إخوان السيف»! . . أى أن أجدادك ـ يا عظيم الفاتيكان ـ قد أجبروا على اعتناق المسيحية بالإكراه . . وتحت تهديد السيف والنار! . .

فهل يجوز لمثلك ـ أو لغيرك ـ مع هذه الشهادات الغربية ـ الادعاء بأن الإسلام قد انتشر بالسيف . . ونسبة هذا «الوهم والافتراء» إلى نبى الرحمة . . رسول الإسلام . . محمد ـ عليه الصلاة والسلام؟! . .

* * *

● ثم . . لِمَ لَمْ يتفكر ويتعقل ـ عظيم الفاتيكان ـ وهو دارس ومدرس للفلسفة الإغريقية ـ كيف يجتمع انتشار الإسلام بالسيف مع بقاء كل المذاهب والكنائس النصرانية ـ والكنس اليهودية ـ وحتى الديانات الوضعية ـ فى الشرق الإسلامى وفى الدولة الإسلامية عبر تاريخ الإسلام؟!

لقد صدر عن «المعهد الوطنى للدراسات الديموجرافية» ـ فى فرنسا الكاثوليكية ـ كتاب [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ليثبت ـ بالحقائق والأرقام والإحصاءات ـ أن نسبة المسلمين بين رعية الدولة الإسلامية وشعوبها ـ فى مصر والمشرق العربى وفارس ـ بعد قرن من الفتوحات الإسلامية وقيام الدولة الإسلامية، لم تتعد ٢٠٪ من السكان!![1].

فأين كان هذا السيف الذى يزعمون أنه كان السبيل لانتشار الإسلام؟ . . والذى يفترونه على رسول الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ؟! . .

* * *

إن وقائع التاريخ الإسلامى وحقائقه ـ وهى وقائع وحقائق . . وليست نظريات ـ تقول:

● إن الدعوة الإسلامية قد مكثت بمكة ثلاثة عشر عاما ـ أى أكثر من نصف عمر هذه الدعوة ـ يتحمل أهلها كل صنوف العذاب والتعذيب والحصار والفتنة فى الدين، دون

---

(١) فيليب فارج، يوسف كرباج [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص٢٥ . ترجمة: بشير السباعى. طبعة القاهرة ١٩٩٤م.

أية مقاومة مادية لهذا العذاب والتعذيب . . بل إن رسول الإسلام ﷺ كان يدعو للذين ينزلون به وبالمؤمنين هذ العذاب فيقول : «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون»!! . .

● وإن الهجرة الإسلامية من مكة إلى المدينة ـ وكذلك الهجرات التى سبقتها إلى الحبشة ـ كانت تهجيرا قسريّا واضطراريًا ، وإخراجًا من الديار ـ وليست خروجًا طوعيًا ـ . . وإنها قد تقررت وتمت عندما بلغ التآمر الوثنى ذروته ، بقرار ملأ قريش وصناديد الشرك أن يسجنوا رسول الله ﷺ أو يقتلوه ، أو يخوجوه من وطنه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال : ٣٠] . . وجميعها خيارات تعنى «الإعدام» . . فالسجن إعدام معنوى . . وكذلك الإخراج من الديار ، إعدام بالحرمان من المجال الحيوى للحياة!

● وإن الدولة الإسلامية ـ تحت القيادة النبوية ـ إنما مارست القتال دفاعًا عن الدين ضد الذين فتنوا المسلمين فى دينهم ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة : ١٩١] . . وضد الذين استفزوا المسلمين فأخرجوهم من ديارهم . . والإخراج من الديار معادل للقتل والإعدام ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء : ٦٦] . .

ولذلك ، جاء الإذن بالقتال صدّا للعدوان الذى مارسه المشركون ، ورفعًا للظلم الذى وقع بالمسلمين المظلومين : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج : ٣٩ ، ٤٠] . . بل وانحصر هذا القتال الإسلامى فى صد هذا العدوان على الدين والوطن ، فقط لا غير . . ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾ [الممتحنة : ٧ ـ ٩] . .

● وفى هذا القتال الدفاعى ـ الذى دارت أغلب معاركه حول «المدينة» ـ عاصمة الدولة الإسلامية ـ دفاعًا عن الدين والوطن، ضد المشركين الذين زحفوا للعدوان عليهما ـ سن الإسلام دستورًا أخلاقيّا للقتال ـ قبل أربعة عشر قرنًا من معرفة البشرية لمواثيق أخلاقيات القتال ـ فقال رسول الله ﷺ: «اغزوا باسم الله، فى سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله ـ [أى من المشركين المعتدين] ـ لا تَغُلُّوا ـ [أى لا تخونوا] ـ ولا تغدروا، ولا تمثلوا ـ [أى لا تمثلوا ببدن الخصم بعد قتله] ـ ولا تقتلوا وليدا] ـ «ونهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والولدان» ـ رواه مالك فى [الموطأ].. ومسلم فى الصحيح..

ولقد صاغ الراشد الأول أبو بكر الصديق [٥١ ق هـ ـ ١٣هـ/ ٥٧٣ ـ ٦٣٤م] هذا الدستور لأخلاقيات القتال فى وصاياه العشر لقائد جيشه «يزيد بن أبى سفيان» [١٨هـ/ ٦٣٩م] وهو ذاهب إلى الشام لتحرير أرضها وشعبها من الاستعمار الرومانى، فقال له:

«إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبّسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبّسوا أنفسهم له.. وإنى موصيك بعشر:

١ ـ لا تقتلن امرأة..

٢ ـ ولا صبيا..

٢ ـ ولا كبيرًا هرمًا..

٤ ـ ولا تقطعن شجرًا مثمرًا..

٥ ـ ولا تخربن عامرًا..

٦ ـ ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلا لِمأكلة..

٧ ـ ولا تحرقن نخلا..

٨ ـ ولا تفرقنّه..

٩ ـ ولا تغلل..

١٠ ـ ولا تجبن..» ـ رواه مالك ـ فى [الموطأ]..

● لقد جاء الإسلام رافضًا فلسفة «الصراع» فى حل المشكلات. . لأن الصراع يفضى إلى أن يصرع الطرف القوى الطرف الضعيف، وينفرد بالميدان، فتطوى صفحة التنوع والتعدد والاختلاف، التى جعلها الإسلام سنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل. . واختار الإسلام سنة «التدافع»، بدلاً من سبيل «الصراع». . والتدافع حراك اجتماعى، يعدل المواقف، ويعيد التوازن إلى العلاقات، مع الحفاظ على سنة التنوع والتمايز والتعدد والاختلاف ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)﴾ [فصلت: ٣٣، ٣٤]. .

وفى إطار «فلسفة التدافع» السلمى ـ لا «الصراع القتالى» ـ عرض الإسلام على الشرك الوثنى فتح الأبواب لحرية الدعوة إلى الدين ـ كل دين ـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [الكافرون: ١، ٦] ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. .

وفى إطار هذه الفلسفة، قسم الإسلام الشرك والمشركين إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ المشركون المحايدون: الذين لم يحددوا موقفًا من الإسلام. . لأنهم لم يعرفوا حقيقته. . وهؤلاء لهم حقوق المعرفة والعلم. . وحرية اتخاذ الموقف الذى يريدون ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ (٦)﴾ [التوبة: ٦].

٢ ـ والمشركون المعاهدون للمسلمين: الذين لم ينقضوا عهودهم ولم يغدروا بما عاهدوا عليه. . وهؤلاء لهم الوفاء بالعهود والعقود ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)﴾ [التوبة: ٤]. .

٣ ـ المشركون الذين نقضوا عهودهم مع المسلمين: واعتدوا على المؤمنين. . وفتنوهم فى دينهم. . وأخرجوهم من ديارهم. . وهؤلاء هم ـ فقط ـ الذين مارس

المسلمون ضدهم القتال الدفاعى لرد العدوان. . فهؤلاء هم الذين ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ⑩﴾ [التوبة: ١٠]. . ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣]. . ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]. . ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ⑲④﴾ [البقرة: ١٩٤]. .

● ومع هذا الموقف الإسلامى الرافض «لفلسفة الصراع». . والداعى إلى «التدافع السلمى». . تميز الإسلام بجعل القتال: الاستثناء. . وليس القاعدة. . والضرورة التى تقدر بقدرها. . بل وجعله الاستثناء المكروه!. . ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. . وأكدت السنة النبوية هذه الحقيقة، بقول رسول الله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله» - رواه الدارمى. .

كما سن سنن التواضع لله. . والصفح والعفو فى ذروة لحظات الانتصار على الأعداء الذين امتلأ تاريخهم مع الإسلام والمسلمين بالإساءات والثارات. . فدخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح الأكبر ساجداً لله على راحلته!!. . وقال لأهلها - يومئذ ٨هـ/ ٦٢٩م - وكثيرون منهم لا يزالون على شركهم -: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»!!. .

● ومع كل هذه الفلسفات الإسلامية التى حكمت علاقات الدعوة الإسلامية بالآخرين. . ومع هذه الضوابط الأخلاقية التى حكمت القتال الدفاعى الذى اضطر إليه المسلمون دفاعًا عن الدين والوطن. . بل وبسبب كل ذلك. . فإن ضحايا جميع الغزوات التى حدثت على عهد الدولة النبوية - وهى عشرون غزوة وسرية. . فى تسع سنوات - لم يتجاوزوا [٣٨٦] قتيلاً من الفريقين - قتلى المشركين. . وشهداء المسلمين -!!. .

بينما بلغ ضحايا الحروب الدينية فى أوروپا - بين الكاثوليك - سلف عظيم الڤاتيكان! - وبين الپروتستانت - عشرة ملايين - وفق إحصاء الفيلسوف الفرنسى «ڤولتير» [١٦٩٤ - ١٧٧٨م] - أى ٤٠٪ من شعوب وسط أوروپا -!!. .

إن حقائق الدراسة الميدانية لضحايا جميع الغزوات الدفاعية ـ فى عهد النبوة ـ لتبدد ذلك الوهم الكبير الذى يتحدث أصحابه عن انتشار الإسلام بالسيف . .

وها هو جدول هذه الغزوات . . وتعداد ضحاياها ، الذين لا يبلغون تعداد حادث من حوادث المرور فى بلد صغير ! ! :

رقم	الغزوة	عدد قتلى المشركين	عدد شهداء المسلمين	تاريخ الغزوة	ملاحظات
١	بعث عبد الله بن جحش	١	-	سنة ٢هـ	
٢	غزوة بدر	٧٠	١٤	سنة ٢هـ	
٣	غزوة السويق	-	٢	سنة ٢هـ	
٤	بعث كعب بن الأشرف	١	-	سنة ٣هـ	
٥	غزوة أحد	٢٢	٧٠	سنة ٣هـ	
٦	غزوة حمراء الأسد	١	-	سنة ٣هـ	
٧	بعث الرجيع	-	٧	سنة ٣هـ	
٨	بعث بئر معونة	-	٢٧	سنة ٣هـ	
٩	غزوة الخندق	٣	٦	سنة ٥هـ	
١٠	غزوة بنى قريظة	٦٠٠	-	سنة ٥هـ	هؤلا قتلوا بالتحكيم جزاء الخيانة ، فلا يحسب عددهم فى ضحايا القتال . .
١١	بعث عبد الله بن عتيك	١	-	سنة ٥هـ	
١٢	غزوة ذى قرد	١	٢	سنة ٦هـ	
١٣	غزوة بنى المصطلق	-	١	سنة ٦هـ	
١٤	غزوة خيبر	٢	٢٠	سنة ٧هـ	
١٥	غزوة وادى القرى	-	١	سنة ٧هـ	
١٦	غزوة مؤتة	-	١١	سنة ٨هـ	
١٧	فتح مكة	١٧	٣	سنة ٨هـ	
١٨	غزوة حنين	٨٤	٤	سنة ٨هـ	
١٩	غزوة الطائف	-	١٣	سنة ٨هـ	
٢٠	غزوة تبوك	-	-	سنة ٩هـ	
	المجموع	٢٠٣	١٨٣		المجموع الكلى من الجانبين ٣٨٦(*)

(*) ابن عبد البر [الدرر فى اختصار المغازى والسير] تحقيق : د . شوقى ضيف . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م .

فأين هذا السيف الذى يتحدث عنه بابا الفاتيكان . . ويقول إنه العمل السيئ والشرير واللاإنسانى الذى جاء به رسول الإسلام ﷺ ؟! . . وجعله أداة لنشر الإسلام!! . .

● ومع كل هذه الحقائق التاريخية . . وشهادات غير المسلمين من أعلام الشرق والغرب ـ تاريخيًا . . وحتى عصرنا الراهن ـ على الانتشار السلمى للإسلام . . وبسبب عقلانيته الفريدة والمتميزة . . فهلا سأل بابا الفاتيكان نفسه ـ وهو الخائف من انتشار الإسلام فى عقر داره الأوروبية . . والخائف من تحول أوروبا إلى جزء من دارالإسلام ـ فى هذا القرن الواحد والعشرين ـ . .

هلا سأل الرجل نفسه عن «السيف» الذى ينتشر به الإسلام فى أوروبا هذه الأيام؟! . .

إن سيوف العالم الإسلامى إما محطمة . . أو يعلوها الصدأ فى الأغماد! . .

وإن سيوف الحضارة المسيحية الغربية مغروسة فى الكثير من رقاب المسلمين! . .

وإن أرض الإسلام تنتشر فيها عشرات القواعد العسكرية الغربية! . .

وإن البحار والمحيطات الإسلامية تحتلها الأساطيل الحربية الغربية! . .

ومع كل هذه الغيبة لسيوف الإسلام . . وكل هذا الطغيان لسيوف الغرب حتى على أرض الإسلام . . تنفتح القلوب والعقول ـ فى عقر دار البابا ـ أمام الإسلام! . .

هكذا يصنع الإسلام اليوم . . وهكذا كان صنيعه فى التاريخ . . وهكذا سيصنع غدا ـ بإذن الله ـ يا عظيم الفاتيكان! .

❊ ❊ ❊

ـ ٥ ـ

الخلط بين الجهاد.. وبين الحرب المقدسة

أما الفرية الثالثة ـ التى افتراها عظيم الفاتيكان على الإسلام وحضارته وتاريخه ـ فهى خلطه بين «الجهاد الإسلامى» وبين «الحرب الدينية المقدسة»، التى عرفتها ومارستها المسيحية الغربية ضد العالم الإسلامى . . حملات صليبية دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م] . . والتى اشتهر منها ما يقرب من ثلاثين حملة، مثلت أولى الحروب العالمية الأوروپية، التى قادتها الكنيسة الكاثوليكية، وسخرت فيها فرسان الإقطاع الأوروپيين، ومولتها المدن التجارية الأوروپية . . لاحتلال الشرق . . وإعادة اختطافه من التحرير الإسلامى . . ونهب ثرواته، وإقامة الكيانات الاستعمارية الاستيطانية على أراضيه . .

كما مارست الكنيسة الكاثوليكية هذه «الحرب الدينية المقدسة» ضد البروتستانت [١٥٦٢ ـ ١٦٢٩م].

ـ وفيها اشتهرت إحدى عشرة حربا . . وأبيد فيها ـ كما أشرنا ـ ٤٠٪ من شعوب وسط أوروپا ـ أى عشرة ملايين . . وفق إحصاء «فولتير» [١٦٩٤ ـ ١٧٧٨م] . .

كما مارست هذه المسيحية الغربية ـ كاثوليكية . . وپروتستانتية ـ هذه «الحرب الدينية المقدسة» بواسطة «محاكم التفتيش» ضد المخالفين والمفكرين والفلاسفة والعلماء . . فأبادت فيها الملايين بالخنق والإحراق والإغراق والإعدام شنقًا أو على «الخازوق المقدس» طوال ثلاثة قرون!! . .

يخلط عظيم الفاتيكان بين الجهاد الإسلامى وبين هذه الحرب الدينية المقدسة، التى جعلت سفك دماء المخالفين من أعظم القربات التى يتقرب بها أساقفتهم ورهبانهم

وفرسانهم إلى الرب، ويكفرون بها عن الذنوب والآثام! . . ويمتلكون بها «المفاتيح البطرسية» لجنات النعيم!! . .

وانطلاقًا من هذا الخلط للأوراق، يدعى عظيم الفاتيكان أن الإيمان الدينى الإسلامى هو الذى يؤسس للعنف والإرهاب . .

ولقد كان حريا بمن يتولى هذا المنصب الأعظم فى كبرى الكنائس المسيحية . . والذى يدعى دراسة الفلسفة وتدريسها . . ويتحدث عن عقلانيته وعقلانية إيمانه . . كان حريا به أن يعلم الحقائق البسيطة . . والمعروفة . . والصلبة، التى تنفى هذا الخلط للأوراق . . تلك الحقائق التى تقول:

إن هناك تمييزًا ـ فى الإسلام . . والقرآن . . واللغة العربية ـ بين: الجهاد . . والقتال . . والإرهاب . .

١ ـ فالجهاد هو بذل الوسع واستفراغ الجهد فى أى ميدان من ميادين الخير والبر والصلاح والإصلاح . . فالرفق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد جهاد . . وبر الوالدين جهاد . . ومقاومة النفس الأمارة بالسوء جهاد . . ومقاومة وساوس الشيطان جهاد . . وعمران الأرض وتزيينها جهاد . . وطلب العلم جهاد . . والزهد فيما فى أيدى الآخرين والاستغناء عنه جهاد . . والإحسان فى العمل . . وإلى الجيران ـ بصرف النظر عن دياناتهم ـ جهاد . . والحج والعمرة جهاد . . وحسن العشرة الزوجية جهاد . . والإخلاص فى تربية الأبناء جهاد . . وإخلاص العبودية لله جهاد . .

ولذلك، فإن الجهاد ـ بهذا المعنى الإسلامى العام والواسع ـ هو فرض عين على المؤمن بالإسلام، يؤديه وفق الوسع والطاقة فى أى ميدان من هذه الميادين، التى تشمل كل ميادين البر والخير والصلاح والإصلاح فى هذه الحياة . . ولهذه الحقيقة كانت المرة الوحيدة التى وصف فيها الجهاد بالكبير فى القرآن، تشير إلى الجهاد بالقرآن الكريم . . وليس بالسيف والقتال: ﴿ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) ﴾ [الفرقان: ٥٢].

٢ ـ أما القتال ـ الذى هو شعبة واحدة من شعب الجهاد العديدة ـ فهو تقديم النفس والمال فى القتال الدفاعى ضد الذين يعتدون على المسلمين، فيفتنونهم فى دينهم، أو

يخرجونهم من ديارهم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤٠]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝٦ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة: ٦ ـ ٩].

هذا هو حجم «القتال فى الإيمان الإسلامى، بالنسبة إلى عموم فريضة الجهاد.. ولهذه الحقيقة كان الجهاد ـ فى الإسلام ـ فريضة دائمة وجامعة، على كل المكلفين.. وكان القتال استثناء مكروهًا مفروضًا من المعتدين على الإسلام والمسلمين ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وكان فرض كفاية، وليس فرضًا على الجميع.

ولهذه الحقيقة ذاتها ـ حقيقة الانحياز الإسلامى للسلام ـ كان الحجم المحدود لضحايا كل غزوات رسول الله ﷺ على امتداد سنواتها التسع ـ كما أسلفنا ـ ٣٨٦ من الفريقين ـ المسلمين والمشركين.. [1] حتى أننا ليمكننا القول: إن عدد البعوث التى أرسلها رسول الله ﷺ لتعليم القرآن والإسلام.. وعدد المساجد والأماكن التى هيأتها الجيوش الإسلامية لأداء الصلوات، هى أكثر بكثير من عدد الضحايا الذين سقطوا فى كل هذه الغزوات!!..

ولقد كان حريا بالحبر الأعظم للفاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ أن يعى هذه الحقائق

---

(١) ابن عبد البر [الدرر فى اختصار المغازى، والسير] تحقيق: د. شوقى ضيف ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م. وانظر كتابنا [الإسلام والآخر] ص ٦٥ ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

التاريخية . . وله فى بلاد الإسلام وفى بلاد الغرب الكثير من الذين درسوا تاريخ الإسلام وتخصصوا فيه . .

كما كان حريا به أن يقارن عدد هؤلاء الضحايا ـ الذين انتصر بهم الإسلام على الشرك الوثنى ـ بضحايا «الحروب المسيحية» ـ المقدس منها وغير المقدس ـ وذلك قبل أن يفترى على الإسلام ورسوله، بفرية الانتشار بالسيف . . والخلط بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب الدينية المقدسة . .

كان حريا بالحبر الأعظم للفاتيكان أن يقارن بين رقم ٣٨٦ ـ ضحايا حروب محمد ﷺ وبين ضحايا حروب كنيسته المقدسة مع البروتستانت ـ ١٠,٠٠٠,٠٠٠ ـ (عشرة ملايين) . . يضاف إليها الملايين ـ التى لا ندرى عددها ـ لصراعات وحروب محاكم التفتيش . . والملايين التى أبادتها مسيحيته فى استعمارها لأمريكا ـ الشمالية والوسطى والجنوبية ـ وكذلك فى أستراليا ونيوزيلاندا . . مضافا إليها ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ (أربعين مليونًا) من الزنوج الأفارقة، الذين أسروا واختطفوا وسلسلوا بالحديد، وشحنوا فى سفن الحيوانات، لتقوم على عظامهم ودمائهم، وأرواحهم رفاهية الحضارة المسيحية الغربية ! ! . . وذلك فضلاً عن ستين مليونًا هم ضحايا الحربين العالميتين اللتين شهدهما النصف الأول من القرن العشرين ـ الأولى [١٩١٤ ـ ١٩١٨م] . . والثانية [١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م] . . وكذلك الحروب التى لا تزال تشنها مؤسسات الهيمنة الغربية . وتباركها ـ أو تصمت إزاءها الكنائس الغربية ـ على امتداد عالم الإسلام . . والتى تستخدم فيها كل أنواع الأسلحة المحرمة دوليّا . . من اليورانيوم المنضب . . إلى الفسفور الأبيض . . إلى القنابل العنقودية . . إلى ما لا يعلمه إلا الله من ثمرات «العبقرية ـ الشيطانية» للفلسفة الغربية التى تخصص فيها عظيم الفاتيكان ! . .

• ثم . . ألم يقرأ عظيم الفاتيكان ـ وهو ألمانى ـ ما كتبته العالمة الألمانية الدكتورة «سيجريد هونكة» فى التمييز بين «الجهاد الإسلامى» وبين «الحرب الدينية المقدسة» فى المسيحية . . والذى قالت فيه :

«إن الجهاد الإسلامى ليس هو ما نطلق عليه ـ ببساطة ـ مصطلح الحرب المقدسة .

فالجهاد - كما يذكر الألمانى المسلم أحمد شميدة - «هو كل سعى مبذول، وكل اجتهاد مقبول، وكل تثبيت للإسلام فى أنفسنا، حتى نتمكن فى هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومى المتجدد أبدًا ضد القوى الأمارة بالسوء فى أنفسنا وفى البيئة المحيطة بنا عالميا. فالجهاد هو المنبع الذى لا ينقص، والذى ينهل منه المسلم مستمدًا الطاقة التى تؤهله لتحمل مسئوليته، خاضعًا لإرادة الله عن وعى ويقين. إن الجهاد هو بمثابة التأهب اليقظ الدائم للأمة الإسلامية للدفاع بردع كافة القوى المعادية التى تقف فى وجه تحقيق ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعى إسلامى فى ديار الإسلام» . . .

واليوم، وبعد انصرام ألف ومائتى عام، لا يزال الغرب النصرانى متمسكًا بالحكايات المختلقة الخرافية، التى كانت الجدات يروينها، حيث زعم مختلقوها أن الجيوش العربية بعد موت محمد نشرت الإسلام «بالنار وبحد السيف البتار» من الهند إلى المحيط الأطلنطى. ويلح الغرب على ذلك بكافة السبل: بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة، وفى الجرائد والمجلات، والكتب والمنشورات، وفى الرأى العام، بل فى أحدث حملات الدعاية ضد الإسلام.

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: تلك هى كلمة القرآن الملزمة - كما ترد فى الآية السادسة والخمسين بعد المائتين من سورة البقرة. . فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامى، وإنما بسط سلطان الله فى أرضه، فكان للنصرانى أن يظل نصرانيًا، ولليهودى أن يظل يهوديًا، كما كانوا من قبل. ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم، وما كان الإسلام يبيح لأحد أن يفعل ذلك. . ولم يكن أحد لينزل أذى أو ضررًا بأحبارهم أو قساوستهم ومراجعهم، وبيعهم وصوامعهم وكنائسهم. .

لقد كان أتباع الملل الأخرى - وبطبيعة الحال من النصارى واليهود - هم الذين سعوا سعيًا لاعتناق الإسلام والأخذ بحضارة الفاتحين، ولقد ألحوا فى ذلك شغفا وافتتانا، أكثر مما أحب العرب أنفسهم، فاتخذوا أسماء عربية وثيابًا عربية، وعادات وتقاليد عربية، واللسان العربى، وتزوجوا على الطريقة العربية، ونطقوا بالشهادتين. لقد كانت الروعة الكامنة فى أسلوب الحياة العربية، والتمدن العربى، والسمو والمروءة والجمال. . وباختصار: السحر الأصيل الذى تتميز به الحضارة العربية، بغض النظر عن الكرم العربى والتسامح وسماحة النفس - كانت هذه كلها قوة جذب لا تقاوم.

إن سحر أسلوب المعيشة العربى ذاك قد اجتذب إلى فلكه الصليبيين إبان وقت قصير، كما تؤكد شهادة الفارس الفرنسى «ڤولشير الشارتى»:

«وها نحن الذين كنا أبناء الغرب قد صرنا شرقيين»!.

ثم راح يصور أحاسيسه وقد تملكه الإعجاب بالسحر الغريب لذلك العالم العجيب بما يعبق به من عطر وألوان، تبعث النشوة فى الوجدان، ثم يتساءل بعد ذلك مستنكرًا:

«أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب؟! بعدما أفاء الله علينا، وبدل الغرب إلى الشرق»؟!..

بهذا انتشر الإسلام.. وليس بالسيف.. أو الإكراه..»[1].

هلا قرأ عظيم الڤاتيكان - وهو ألمانى - هذا الذى كتبته العالمة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكة.. وتعلم الفارق الجوهرى بين «الجهاد الإسلامى» وبين «الحرب الدينية المسيحية المقدسة»؟.. وذلك بدلاً من أن يردد - فى القرن الواحد والعشرين - «حكايات الجدات الخرافية» عن انتشار الإسلام - من الهند إلى المحيط الأطلنطى «بالنار وبحد السيف البتار»!..

● وإذا كان عظيم الڤاتيكان لا يزال بحاجة إلى شهادة أوروبية تعلمه الفروق بين الحرب الدينية المسيحية المقدسة - حرب الإكراه على تغيير العقيدة.. والتقرب إلى الله بسفك دماء المخالفين - وبين الجهاد الإسلامى.. فإننا نقدم إليه شهادة المؤرخ الأوروبى «ميشائيل درسيرر» - التى أوردتها العالمة الألمانية سيجرد هونكة.. وهى تتحدث عن ممارسة بطاركة الكنيسة الكاثوليكية هذه الحرب المقدسة إبان حروبهم الصليبية ضد المسلمين.. وفى مدينة القدس تحديدًا.. فقالت:

«لقد أصدر كبير وعاظ الحروب الصليبية «برنارد كليرفوكس» أمره إلى المحاربين الصليبيين: «إما التنصير وإما الإبادة»!.

ووصف المؤرخ الأوروبى «ميشائيل درسيرر» مذبحة المسلمين فى القدس سنة ١٠٩٩م على يد الصليبيين، وكيف كان البطريرك نفسه يعدو فى زقاق بيت المقدس، وسيفه يقطر دما، حاصدًا به كل من وجده فى طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة

---

(١) سيجريد هونكة [الله ليس كذلك] ص ٤٠ - ٤٣.

القيامة وقبر المسيح فأخذ فى غسل يديه تخلصا من الدماء اللاصقة بها، مردداً كلمات المزمور التالى: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقا إن للصديق مكافأة، وإن فى الأرض إلها يقضى» [المزمور ٥٨ : ١٠ ـ ١١] ـ . . ثم أخذ البطريرك فى أداء القداس قائلاً: إنه لم يتقدم فى حياته للرب بأى قربان أعظم من ذلك ليرضى الرب»!![1].

تلك هى الحرب الدينية المقدسة، التى مارستها الكنيسة الكاثوليكية ضد الإسلام والمسلمين. . والتى كان بطاركة هذه الكنيسة يتقربون ـ فيها ـ إلى ربهم بسفك دماء المسلمين. .

والتى خلط بينها وبين الجهاد الإسلامى بابا الڤاتيكان!

***

٣ ـ أما الإرهاب ـ الذى يعنى: استخدام العنف لترويع الأبرياء والآمنين والمسالمين، وذلك لتحقيق أهداف سياسية ـ فإنه مجرّم ومحرّم فى الإسلام. . بينما هو صناعة غربية، مارسته وتمارسه الدول والحكومات. . وليس فقط الأفراد. .

● لقد حرّم الإسلام ترويع الآمنين، واستخدام العنف ضدهم، وذلك عندما وضع دستوراً أخلاقيّا حتى للحرب الدفاعية المشروعة. . حرم قتل المسالمين الذين ليسو طرفا فى العدوان والقتال. . وجاء فى سنة رسول الإسلام ﷺ أنه «نهى عن قتل النساء والولدان» ـ رواه مالك فى [الموطأ] ـ . .

كما صاغ الراشد الأول أبو بكر الصديق ـ كما أسلفنا ـ هذه القيم الإسلامية فى دستور للفروسية الإسلامية، وذلك عندما لموصى قائد جيشه «يزيد بن أبى سفيان» [١٨ هـ/ ٦٣٩م] بالرفق، ليس فقط بالآمنين والمسالمين والأبرياء. . وإنما أوصاه ـ أيضًا ـ بالرفق بالحيوان. . والنبات. . فقال له:

«إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبّسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبّسوا أنفسهم له. . وإنى موصيك بعشر: (ذكرت الوصايا فى صفحة ٧٤ ونذكرها هنا مرة ثانية).

---

(١) المرجع السابق: ص ٢٠ ـ ٣٤

١ ـ لا تقتلن امرأة . .

٢ ـ ولا صبيا . .

٣ ـ ولا كبيرا هرما . .

٤ ـ ولا تقطعن شجرا مثمرا . .

٥ ـ ولا تخربن عامرا . .

٦ ـ ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة . .

٧ ـ ولا تحرقن نخلا . .

٨ ـ ولا تفرقنّه . .

٩ ـ ولا تغلل . .

١٠ ـ ولا تجبن . . » ـ رواه مالك فى [الموطأ] ـ . .

فأين هو هذا الإرهاب الإسلامى، المؤسس على الإيمان الدينى، الذى زعمه وافتراه ـ على الإسلام والمسلمين ـ الحبر الأعظم للفاتيكان؟!

● لقد وصف الرجل دفاع المقاومة اللبنانية ضد العدوان الصهيونى على لبنان ـ فى يوليو ـ أغسطس سنة ٢٠٠٦م ـ بأنه «إرهاب»!! . . وذلك عندما أدان «الإرهاب» و«الانتقام» . . فاعتبر دفاع الضحية إرهابا . . وعدوان المعتدى ـ الذى استخدمت فيه الأسلحة المحرمة دوليّا: اليورانيوم المنضب . . والقنابل العنقودية ـ مجرد انتقام من الإرهاب!! . .

● ولقد مضى على تولى البابا بنديكتوس السادس عشر منصبه فى أكبر كنائس النصرانية أكثر من عام . . وهو يصمت صمت القبور على الإرهاب الغربى الذى ينطلق من الأساطير «الأصولية ـ المسيحية ـ الصهيونية» لإبادة مئات الآلاف من المسلمين فى العراق . . وفلسطين . . وأفغانستان . . والشيشان . . وكشمير . . والصومال . . والسودان . . والفيليپين . . وبورما . . إلخ . . إلخ . . وهو إرهاب وإبادة تمارسهما دول عظمى وكبرى، تحركها الأيديولوچية الصليبية وجماعات اليمين الدينى المسيحى .

● كما صمت ويصمت - عظيم الفاتيكان - على الإرهاب الغربى الإمبريالى - المدعوم مسيحيا - والذى يغطى أرض كثير من بقاع العالم الإسلامى بالقواعد العسكرية، وأسلحة الدمار الفتاكة . . كما يغطى البحار والمحيطات الإسلامية بالبوارج والأساطيل وحاملات الطائرات! . .

فأين موقف عظيم الفاتيكان من هذا الإرهاب؟! . . أم أن له عنده اسما آخر غير الإرهاب؟! . .

● وإذا كانت قدرات الرجل الفكرية قد جعلته يغوص ويعود إلى ما قبل أربعة عشر قرنا، ليفترى على الإيمان الإسلامى فرية تأسيسه للعنف والإرهاب . . فأين ذهب ذكاؤه، وأين ذهبت ثقافته من «عصر الإرهاب» الذى تفتخر به الثورة الفرنسية - التى قامت فى فرنسا الكاثوليكية - رعية عظيم الفاتيكان - والذى يدرّس فى كل مدارس الدنيا، كإنجاز من إنجازات الحضارة الغربية! . . وذلك دونما إشارة إلى «إرهاب الدولة»، الذى ابتدعه الغرب، ولا يزال يمارسه ضد الآخرين حتى هذه اللحظات! . .



-٦-

الافتراء على القرآن الكريم

ثم . . هل يليق بمن هو فى مكانة الحبر الأعظم للفاتيكان أن يفترى على القرآن الكريم، فيصف آياته بأنها «تعليمات أوامر اللئام»؟!!

يصنع ذلك مع القرآن الذى جاء مصدقًا لما سبقه من كل الكتب السماوية . .

والذى جاء مؤمنًا بكل النبوات والرسالات ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] . . والذى تحدث عن توراة موسى فقال إن فيها هدى ونورا . .

وعن إنجيل عيسى فقال إن فيه هدى ونورا . .

والذى جعل مريم سيدة نساء العالمين . . وآية من آيات الله . .

وتحدث عن المسيح عليه السلام باعتباره آية من آيات الله . . عليه السلام يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا . .

والذى اعترف بكل شرائع أهل الكتاب . . ودعاهم إلى كلمة سواء: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ولم يحتكر ـ هذا القرآن الكريم ـ النجاة لأهل شريعة دون من سواهم . . وإنما فتح أبوابها لأهل التوحيد الخالص . . والإيمان بالغيب . . والعمل الصالح . وفق آية

شريعة سماوية صحيحة أتى بها واحد من رسل الله ـ عليهم السلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. . ذلك أن الله ـ الذى أوحى هذا القرآن ـ ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠].

فهل يليق بمنصف ـ مهما كان دينه أو كانت ثقافته ـ ينظر إلى القرآن نظرة موضوعية محايدة ـ أن يصف هذا القرآن بأنه «تعليمات أوامر اللئام» ؟! . . كما صنع عظيم الفاتيكان؟!.

* وإذا كان الحبر الأعظم للكاثوليكية ـ بنديكتوس السادس عشر ـ قد جهل التراث الشرقى والعربى والإسلامى الذى شهد للإعجاز القرآنى، وأعلن أنه كلمة لله التى أعجزت ـ ولا تزال تعجز ـ البشر قاطبة عن أن يأتوا بشىء من مثله . .

هذا التراث الذى حفظ التاريخ منه كلمات أئمة الفصاحة والبلاغة وأساطين صناعة البيان . . من مثل :

ـ «أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم (٩٥ ق هـ ـ ١ هـ/ ٥٣٠ ـ ٦٢٢م] . . وهو من زعماء قريش . . وزنادقتها . . ومن قضاة العرب فى الجاهلية . . والملقب «بالعدل» لأنه كان عدل قريش كلها . . والذى شهد للقرآن الكريم ـ رغم شركه ـ عندما سمع رسول الله ﷺ يتلو ـ فى المسجد ـ سورة غافر، فقال :

«والله لقد سمعت من محمد كلاما آنفا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن.

والله ما هو بكاهن، فقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة [١] الكاهن ولا سجعه.

ووالله ما هو بمجنون. فقد رأينا الجنون وعرفناه. فما هو بخنقه[٢] ولا تخالجه[٣] ولا وسوسته.

---

(١) الزمزمة: الصوت يسمع من بعيد، وله دوى.

(٢) صوت المخنوق.

(٣) الاضطراب والتمايل.

ووالله ما هو بشاعر، فقد عرفنا الشعر كله، رجزه[١] وهزجه[٢] وقريضه[٣] ومقبوضه[٤] ومبسوطه[٥]، فما هو بشاعر.

ووالله ما هو بساحر، فقد رأينا السحّار وسحرهم، فما هو بنفثه[٦] ولا عُقده[٧].

والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لمغدق[٨]، وإن فرعه لمثمر. وإنه يعلو ولا يُعْلى عليه.

وما أنتم ـ [يا معشر قريش] بقائلين ـ [فيه] ـ من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل»[٩].

ـ وشهادة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ـ أبو وليد (٢ هـ/ ٦٢٤م] ـ وهو من سادة الشرك فى قريش ومكة ـ شهادته للقرآن عندما سمعه من رسول الله ﷺ فقال:

«لقد سمعت قولا، والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة.. ووالله ليكونن لهذا الذى سمعت نبأ عظيم»[١٠].

ـ وشهادة الدكتو طه حسين [١٣٠٦ ـ ١٣٩٣هـ/ ١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م] ـ وهو أحد أبرز البلغاء فى القرن العشرين.. والذين جمعوا ثقافة الغرب إلى ثقافة الشرق.. شهادته على تفرد القرآن وعلوه على الإبداع البشرى.. عندما قال:

«لقد قلت فى بعض أحاديثى عن نشأة النثر عند العرب:

---

(١) بحر من بحور الشعر العربى، وزنه «مستفعلن» ست مرات.

(٢) بحر من بحور الشعر العربى، وزنه «مفاعلن» أربع مرات.

(٣) الشعر؛ لأنه اقتطاع من الكلام.

(٤) ما حذف منه الخامس الساكن من الجزء ـ مثل حذف النون من «فعولن»، فتصبح «فعول».

(٥) بحر من بحور الشعر، وزنه «مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن».

(٦) النفث من معانيه: السحر ـ والمنفوث هو المسحور.

(٧) العقد يعقدها الساحر.

(٨) المغدق: المخصب.

(٩) محمد بن يوسف الصالحى الشامى [سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد] جـ٢ ص ٤٧٢، ٤٧٣، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد. طبعة القاهرة سنة ١٤١٨هـ/ سنة ١٩٩٧م.

(١٠) أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى [مختصر سيرة ابن هشام] جـ١ ص ١٨٧. طبعة القاهرة سنة ١٤٢٢هـ/ سنة ٢٠٠٢م.

إن القرآن ليس شعرا ولا نثرا، وإنما هو قرآن، له مذاهبه وأساليبه الخاصة فى التعبير والتصوير والأداء.

فيه من قيود الموسيقى ما يخيل إلى أصحاب السذاجة أنه شعر، وفيه من قيود القافية ما يخيل إليهم أنه سجع. وفيه من الحرية والانطلاق والترسل ما يخيل إلى بعض أصحاب السذاجة الآخرين أنه نثر.

ومن أجل هذا خُدع المشركون من قريش، فقالوا: إنه شعر. وكذبوا فى ذلك تكذيبا شديدا.

ومن أجل هذا خُدع كذلك بعض المتتبعين لتاريخ النثر فظنوا أنه أول النثر العربى، وتكذبهم الحقائق الواقعة تكذيبا شديدا.

فلو قد حاول بعض الكتاب الثائرين ـ وقد حاول بعضهم ذلك ـ أن يأتوا بمثله لما استطاعوا إلا أن يأتوا بما يضحك ويثير السخرية»[1].

هكذا شهد أساطين البلاغة والفصاحة والبيان للقرآن بالإعجاز.. وعلى مر التاريخ..

* وإذا جاز لعظيم الفاتيكان أن يجهل هذه الشهادات الشرقية للقرآن الكريم بالتفرد والإعجاز.. أو أن يتجاهل الإعجاز الأكبر والأخلد للقرآن: إعجاز صناعة الإنسان السوى والمجتمع السوى عبر الزمان والمكان ـ فضلا عن الإعجاز بالإنباء بالغيب.. والإشارات للإعجاز العلمى.. إلخ.. إلخ.. فهل يجوز لمثل عظيم الفاتيكان أن يجهل ما كتبه علماء غربيون، بلغات غربية عن هذا القرآن الكريم؟!

وهلا قرأ ـ قبل أن يصف القرآن بهذا الوصف الغريب والعجيب والمريب ـ ما كتبه عملاق الثقافة الإنجليزية الدكتور مونتجمرى وات ـ بعد رحلة مع القرآن والدراسات الإسلامية زادت عن ثلث قرن ـ توّجها بحديثه عن القرآن، الذى قال فيه:

«إن القرآن ليس بأى حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، وإنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمدًا ليس أكثر من

---

(١) د. طه حسين [الفتنة الكبرى ـ عثمان] ص ٣٢، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٤م.

«رسول» اختاره الله لحمل هذه الرسالة، إلى أهل مكة أولا، ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربى مبين..

إننى أعتقد أن القرآن، بمعنى من المعانى، صادر عن الله، وبالتالى فهو وحى..

إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه، عندما يقول: إن كلمات الله ليست نتيجة أى تفكير واع منه.. وربما كانت الملامح الأساسية للوحى يمكن اختصارها فى العناصر الثلاثة الآتية:

١ ـ أن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر فى عقله الواعى.

٢ ـ وأن تفكيره الشخصى لم يكن له دور فى ذلك.

٣ ـ وأن يقينا جازما كان يتملك فؤاده أن هذه الكلمات هى من عند الله.

لقد وجد محمد الكلمات، أو المحتوى الشفهى حاضرا فى وعيه، فلما تمت كتابته شكّل النص القرآنى الذى بين أيدينا. وكان محمد واعيا تماما أنه لا دخل لتفكيره الواعى فى هذه الرسالة القرآنية التى تصله. وبتعبير آخر فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يفصل بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعى، الأمر الذى يعنى أن القرآن لم يكن بأية حال من الأحوال نتاج تفكير محمد.. إنه لا ينبغى النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية.

وفى الحوار مع الإسلام، يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمدًا لم يتلق وحيا، وعن الأفكار الشبيهة.

وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور التى أوحيت إليه، كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدى؛ لأن السور التى تلاها محمد هى من عند الله، وما كان لبشر أن يتحدى الله. وليس من قبيل الصدفة أيضا أن كلمة (آية) تعنى علامة على القدرة الإلهية، وتعنى أيضا فقرة من الوحى..

وإذا لم يكن محمد هو الذى رتب القرآن بناء على وحى نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور «زيد بن ثابت» [١١ق. هـ ـ ٤٥ هـ/ ٦١١ ـ ٦٦٥م] أو أى مسلم آخر يقوم بهذا العمل.. ومن هنا فإن كثيرا من السور قد اتخذت شكلها الذى هى عليه منذ أيام محمد ﷺ نفسه.. والقرآن كان يُسَجَّل فور نزوله..

ورغم كثرة القراءات للقرآن فإن أيا منها لم تؤد إلى جنوح معانى القرآن بحيث تجعلها بعيدة عن المعانى المفهومة من القراءات الأخرى . .

إن القرآن يحظى بقبول واسع ، بصرف النظر عن لغته ؛ لأنه يتناول القضايا الإنسانية . .

وإذا كان القرآن كلام الله وحده ، ورسالته إلى محمد ، فإن الكثيرين من المسيحيين لا يفترضون أن كلمات الله ـ [فى العهدين القديم والجديد] ـ قد جلبها مصدر خارجى مثل فى مَلَك أو ملائكة يملونها على كُتّاب الأناجيل ، وإنما يُلْقَى فى روع هؤلاء الكتّاب أن ما يكتوبنه إنما هو كلام الله حقا ، والأنبياء الوارد ذكرهم فى العهد القديم يعلنون دون تردد «هكذا يقول الرب . . » .

ولذا فلا بد أنهم كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به من كلمات هو بمعنى من المعانى كلمات الله حقا . .

ولو احتفظ يهود العصر ومسيحيوه بيهوديتهم ومسيحيتهم فى حالة نقاء لاعترفوا بالرسالة التى ألقاها الله إليهم عن طريق محمد ، تماما كما فعل ورقة بن نوفل (١٢ق . هـ/ ٦١١م) الذى أفادت الروايات أن استجابته كانت إيجابية لمحمد . .

وإن إشارة القرآن إلى تحريف لحق اليهودية والمسيحية ـ وبصورتهما الموجودة على أيامه ـ قول صحيح . . »[1] .

تلك شهادة غربية للقرآن الكريم . . كتبها عَلَم من أعلام الثقافة الغربية . . بعد رحلة مع القرآن والدراسات الإسلامية زادت عن ثلث قرن ـ ومثلها كثير فى دراسات العلماء الغربيين المنصفين للإسلام . . فلماذا غابت مثل هذه الشهادات عن ثقافة «أستاذ الفلسفة» وعظيم الفاتيكان الذى تجاوز كل حدود المعقول والمقبول عند وصف آيات القرآن الكريم بأنها «تعليمات أوامر اللئام» ! !

* * *

---

(١) مونتجمرى وات [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر] ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٨٣ ، ١٠٦ ، ٣٩ ، ١٧٠ ، ٢٠٦ ، ٥٢ـ٥٤ ، ٧١ ، ٢٣ ، ٦١ ، ١٢٨ ، ٦٣ ، ١٣١ ـ ترجمة : د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ . طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م .

* إنه من الحق ـ بل ومن الواجب ـ أن يتساءل المرء عن الحد الأدنى من الموضوعية فى هذا الذى افتراه بابا الفاتيكان! . . وأن يبحث عن قيم العدل والإنصاف التى اتفقت عليها جميع الديانات إزاء هذه الافتراءات التى افتراها الحبر الأعظم للفاتيكان على :

ـ رب العالمين ـ سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا . .

ـ وعلى رسول الإسلام، الذى وصفه ربه بقوله : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم : ٤] . . والذى بعثه ﴿**رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . . ونوراً وبشيرا للعالمين . .

ـ وعلى الإيمان الإسلامى . . الذى بلغ الذروة فى التوحيد . . والتنزيه . . والتجريد

ـ وعلى فكر المسلمين . . وحضارتهم . . التى أنارت الدنيا . . وعلمت البشرية . . ومثلت العالم الأول على ظهر هذه الأرض لأكثر من عشرة قرون .

أين الحقيقة من هذا الذى زعمه وافتراه عظيم الفاتيكان؟ . .

* أم أن «الغرض : مرض» قد أصبح يعيى حكماء الفكر ونطاسى الأطباء؟! . .

* أو أن «الكذب» قد أصبح «صناعة» كبرى وثقيلة تدر على «الكذبة» مليارات السُّحْت الذى به يرتزقون؟! . . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿**تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ [الواقعة : ٨٢] . .

* * *

* وإذا كان هذا هو حكم بابا الفاتيكان على القرآن الكريم ـ كتاب الله المحفوظ . . والنص المؤسس للأمة الإسلامية وثقافتها وحضارتها . . فإن من حقنا أن نسأل بابا الفاتيكان، والحبر الأعظم للكاثوليكية، وأستاذ الفلسفة، عن رأيه فى العهد القديم ـ الذى يقدسه . . ويتعبد بتلاوته ـ رغم ما قاله فيه علماء اليهود، من أن أغلب أسفاره لا علاقة لها بالوحى الإلهى ولا بموسى عليه السلام وبنص عبارة هؤلاء العلماء اليهود :

«فإن هذه الأسفار المقدسة هى من طبقات مختلفة، وعصور متباينة، ومؤلفين مختلفين، حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن . . فلا ارتباط بينها، سواء فى أسلوب اللغة أم فى طريقة التأليف . .

إن القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب فى الصحراء . . وموسى لم يكتب التوراة كلها . . وأقوال التوراة ليست إلا لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام وعشائر وأسباط مختلفة . . ففيها ثمانى مجموعات تعود إلى عصور مختلفة، وهى :

١ ـ لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء (فى سيناء) تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرايم .

٢ ـ ولفائف من تعاليم الكهنة، تمت إضافتها إليها حتى عصر يوشع بن صادق .

٣ ـ ولفائف أعداد الأسباط .

٤ ـ ولفائف باعترافات الأنبياء .

٥ ـ ومجموعات من روايات بيت داود .

٦ ـ وأقوال الأنبياء ومجموعاتهم فى بابل .

٧ ـ وأقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبى .

٨ ـ وتكملات مختارة من عصر الحشمونيين . . [أى القرن الثانى قبل الميلاد] .

. . إن سفر التكوين قد ألف بعد مئات السنين من استيطان اليهود فى فلسطين، وبعد أن تحصن الأسباط فى إرث استيطانهم بزمن طويل، وإن مؤلف السفر لم يكن موجودا على كل حال قبل عصر إشعيا ـ [أى حوالى ٧٣٤ ـ ٦٨٠ ق . م] .

أما بالنسبة لسفرى الخروج والعدد، فإنهما معالجة لأساطير وأشعار قديمة . .

وإن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة فى التوراة، بين أنشودة موسى ـ الموجودة فى سفر الخروج ـ وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد ـ هى فى مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام قواعد الكهنة، وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات والازدواجيات والتعديلات، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة، ومن الصعب علينا فهمها، وفى كل الأسفار كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما .

كما أن أقوال داود قليلة فى سفر آخر منسوب إليه . . »[1] .

نعم . . هذه شهادة العلماء اليهود، الخبراء فى نقد النصوص الدينية . . تقول ـ يا عظيم الڤاتيكان ـ إنك تتعبد بكتاب لا علاقة له بالوحى ولا بالقداسة، وإن علاقته بموسى أوهى من خيوط العنكبوت . . ومع ذلك فأنت تتهجم على القرآن الكريم!

* وإذا شئت ـ يا عظيم الڤاتيكان ـ شهادة خبير آخر، وعالم فى تحليل التوراة، على ما فيها من تناقضات تنفى عنها الوحى والقداسة . . فإليك شهادة العالم البارز الدكتور فؤاد حسنين على . . أستاذ العبرية والتراث اليهودى بجامعة القاهرة ـ فى كتابه [التوراة : عرض وتحليل] ـ والتى يقول فيها :

«إنه لا يوجد فى التوراة التى بين أيدينا خبر يُشتم منه أن موسى هو الذى جاء بها أو نزلت عليه، بل على النقيض من هذا يوجد فيها ما يؤيد عكس هذا، ومن هذه الأدلة مثلا :

ما جاء فى الآية السادسة من الإصحاح الرابع من سفر التثنية بخصوص وفاة موسى، فبعيد كل البعد كله أن يكون هذا الخبر صادرا عنه، فقد ورد فى هذه الآية : «لا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا» . .

وفى الآية العاشرة من الإصحاح نفسه جاء «ولم يقم بعد نبىٌّ فى إسرائيل مثل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض»!

فكل هذه الآيات وأمثالها تدلنا على أن المؤلف شخص آخر غير موسى، كما أن هناك زمنا بعيدا بين وفاة موسى وبين تأليف التوراة التى بأيدينا .

ومن الأدلة الأخرى على ذلك، الاختلافات والتناقضات فى النص، كاستعمال (يهوه) و(ألوهيم)، وبعض الألفاظ الأخرى التى نعلم أن معانيها تختلف أحيانا حسب

---

(١) [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث] جـ١ . ص ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ١٩٦ . وهو مجموعة من الدراسات النقدية كتبها عدد من العلماء اليهود، الخبراء فى نقد النصوص الدينية ـ جمعها وحررها العالم اليهودى زالمان شازار ـ ترجمة : د. أحمد محمد هويدى . تقديم ومراجعة : د. محمد خليفة حسن . طبعة القاهرة ـ المجلس الأعلى للثقافة سنة ٢٠٠٠م .

البيئة وحسب الزمن . . والتى لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد فى عصر واحد» :

فقصة الخلق مثلا جاءت فى سفر التكوين ـ الإصحاح الأول : ٢٧ ـ وفيها : كان الإنسان آخر الخلق، وعرض للقصة نفسها فى السفر نفسه ـ الإصحاح الثانى : ٤ ـ ٢٥ ـ فكان الإنسان هو الأول، وبعده جاءت الأشجار، فحيوانات الحقول، وطيور السماء . . الأمر الذى يجعل التوراة . . كما هى الآن وليدة عصور ونتاج عقليات متنوعة .

وقد استغلت فى سبيل وضعها مصادر عديدة، بعضها ذكر كما هو وبعضها حذف منه أو أضيف إليه . . ومن أدلة تعدد هذه المصادر الاضطرابات الموجودة فى بعض القصص، مثلا قصة الطوفان : فالآية الثانية عشرة من الإصحاح السابع من سفر التكوين تنص على أنه دام ٤٠ يوما و٤٠ ليلة، بينما نقرأ فى الآية الرابعة والعشرين من الإصحاح السابع فى السفر نفسه أنه دام ١٥٠ يوما .

ثم إن أقدم المخطوطات الموجودة للتوراة الحالية بينها وبين النسخة الأصلية التى كتبت عنها مدة تقرب من ألف عام، وفى هذه المدة طرأ على الكتابة العبرية شىء كثير من التغيير والتبديل . . »[١] .

تلك هى شهادات العلماء الخبراء ـ من اليهود وغيرهم ـ فى الكتاب الذى تقدسه وتتعبد به يا عظيم الفاتيكان . .

* ويا ليتك ـ أيها الحبر الأعظم ـ قد امتلكت شجاعة البابا شنودة الثالث ـ بابا الإسكندرية والكرازة المرقسية ـ أعرق وأكبر الكنائس الشرقية ـ الذى لم يتحرج من الاعتراف ـ والإعلان ـ عن أن هذا العهد القديم ـ المتداول فى كل كنائس العالم ـ قد حذفت منه الأسفار القانونية ـ أسفار بصيغة الجمع . . وليس سفرا واحدا ـ !! . .

فلقد نشرت صحيفة [وطنى] ـ المسيحية ـ فى عددها الصادر يوم الأحد ١٥ أكتوبر سنة ٢٠٠٦م . . أن البابا شنودة قد سئل فى محاضرته الأسبوعية ـ يوم الأربعاء ١١ أكتوبر سنة ٢٠٠٦م . . عن الأسفار المحذوفة من الكتاب المقدس، وهل بذلك يكون محرفا»؟

---

(١) د. فؤاد حسنين على : [التوراة عرض وتحليل] ص ١١، ١٦، ٢٢، ٢٤ـ٢٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٦م .

فاعترف البابا شنودة بأن «هناك بعض الأسفار القانونية . . غير موجودة بالطبعة المتاحة بين أيدينا، وهذا نتيجة حذفها من قبل البروتستانت الذين يقومون بطبع ونشر الكتب المقدسة»[1] !!

يا ليتك ـ يا عظيم الفاتيكان ـ قبل التهجم على القرآن الكريم ـ المعجز والمحفوظ حفظا متفردا ـ قد امتلكت شجاعة البابا شنودة فى الحديث عن كتابك المقدس ـ [العهد القديم].

* ثم . . ألم يكن الأجدر بك ـ يا عظيم الفاتيكان ـ بدلا من التهجم على القرآن الكريم . . والافتراء على آياته إلى حد وصفها بأنها : «تعليمات أوامر اللئام» ـ أن تشغل نفسك بالدفاع عن كتابك المقدس [العهد الجديد] . . لا أقول ضد الكتابات الإسلامية . . وإنما فى مواجهة الكتابات الغربية التى ساقت ضده عشرات الأدلة التى تنفى موثوقيته ومن ثم قداسته؟! . .

إن مصدرا غربيًّا واحدا ـ هو دائرة المعارف البريطانية ـ تقول عن :

(أ) **إنجيل متى : «إن كون متى هو مؤلف هذا الإنجيل أمر مشكوك فيه بجد»** [٦ - ٦٩٧].

(ب) **وإنجيل مرقس : «فى أفضل المخطوطات، فإن الأعداد من ٩ إلى ٢٠ تعتبر عموما إضافات متأخرة، والأعداد الأخيرة ـ ١٦ : ٩ - ٢٠ غير موجودة فى بعض المخطوطات، ويوجد عوضا عنها مقاطع أقصر فى مخطوطات أخرى. وهناك خلاف حول تأليف مرقس لهذا الجزء»** [المجلد الثانى ص ٩٥١، ٩٥٣].

(جـ) **وإنجيل لوقا : «إن مؤلف هذا الإنجيل يظل مجهولا»** [المجلد الثانى ص ٩٥٤].

(د) **وإنجيل يوحنا : ـ وهو الوحيد الذى انفرد بالحديث عن ألوهية المسيح . . يتعارض مع الأناجيل الأخرى فى كثير من الوقائع الهامة . . حتى ليقول الأسقف «بابياس» المتوفى سنة ١٣٠م ـ بوجود أكثر من يوحنا . . وإن هذا الإنجيل قد كتب بواسطة حوارى مجهول الاسم** [المجلد الثانى ص ٩٥٥].

---

(١) صحيفة [وطنى] «الكتاب المقدس بين الحذف والتحريف» عدد ٥ أكتوبر سنة ٢٠٠٦م ـ القاهرة. وانظر ـ فى ملاحق هذا الكتاب ـ صورة تصريح البابا شنودة، كما نشرتها صحيفة [وطنى].

كما تقول دائرة المعارف البريطانية: **«إن جميع النسخ الأصلية للعهد الجديد التى كتبت بأيدى مؤلفيها الأصليين قد اختفت. وإن هناك فاصلا زمنيا لا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة سنة بين أحداث العهد الجديد وتاريخ كتابة مخطوطاته حاليًا.. وإن جميع نسخ الكتاب المقدس قبل عصر الطباعة تظهر اختلافات فى النصوص. وإن مقتبسات آباء الكنيسة من كتب العهد الجديد، والتى تغطيه تقريبا، تظهر أكثر من مائة وخمسين ألفا من الاختلافات بين النصوص»** [المجلد الثانى ص ٩٤١].

وإذا كانت هذه مجرد إشارة واحدة إلى نموذج واحد من نماذج المصادر الغربية التى عرضت لمدى الثقة والموثوقية فى كتابك المقدس - يا عظيم الفاتيكان.. أفما كان الأجدر بك - كما هو شأن العقلاء - أن تهتم ببيتك.. وأن تقدم لرعيتك ما يبعث على الطمأنينة إزاء كتابهم، بدلا من هذا التهجم - غير اللائق - على القرآن الكريم؟!..

أم أننا أمام المثل العربى الشهير - «رمتنى بدائها وانسلت» - يا عظيم الفاتيكان؟!

* * *

* وإذا كان بابا الفاتيكان - بنديكتوس السادس عشر - قد وصف آيات القرآن الكريم بأنها «تعليمات أوامر اللئام».. فهل لنا أن نسأله عن رأيه - كأستاذ للفلسفة - فيما جاء بأسفار العهد القديم - التى يقدسها - من فكر دموى وعنصرى، قد نسبوه إلى الله - تعالى عن ذلك - يأمر فيه بنى إسرائيل بإبادة كل شىء لدى الآخرين - البشر والشجر.. والحيوانات.. هذه النصوص التى منها:

- **«فقال الرب لموسى: اكتب هذا تذكارا فى الكتاب، وضعه فى مسامع يشوع: فإنى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء»** [سفر الخروج، إصحاح ١٧ - ١٤].

- **«إن سمعت عن إحدى مدنك التى يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها، قولا.. فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرقها.. [أى تدمرها وتبيدها] بكل ما فيها من بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار،**

المدينة، وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلا إلى الأبد لا تُبنى بعد. . لكى يرجع الرب عن حُمُوّ غضبه ويعطيك رحمة» [سفر التثنية، إصحاح ١٣ : ١٢، ١٥ـ١٧].

ـ «وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أردن أريحا قائلا : كلّم إسرائيل وقل لهم : إنكم عابرون للأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم . . تملكون الأرض وتسكنون فيها، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم فى الأرض التى أنتم ساكنون فيها، فيكون أنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم» [سفر العدد، إصحاح ٣٣ : ٥٠ ـ ٥٣، ٥٥، ٥٦].

ـ «وحين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربا فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، أما النساء والأطفال والبهائهم وكل ما فى المدينة، كل غنيمتها، فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن . . فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرّمها ـ [أى تبيدها] ـ . . » [سفر التثنية، إصحاح ٢٠ : ١٠ ـ ١٦].

ـ «سبعة شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم، فإنك تحرّمهم ـ [أى تبيدهم] ـ . . لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم . . ولا تصاهرهم . . لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك . إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض . . مباركا تكون فوق جميع الشعوب لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا فى بهائمك . ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التى عرفتها لا يضعها عليك، بل يجعلها على مبغضيك، وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك . لا تشفق عيناك عليهم» [سفر التثنية، إصحاح ٧ : ١ ـ ٣، ٦، ٧، ١٤ ـ ١٦].

ـ «هكذا قال السيد الرب : قل لطائر كل جناح وكل وحوش البحر، اجتمعوا تعالوا احتشدوا من كل جهة إلى ذبيحتى التى أنا ذابحها لكم . ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل لتأكلوا لحما وتشربوا دما، تأكلوا لحم الجبابرة وتشربوا دم رؤساء الأرض، كباش

وحملان وأعتدة وثيران كلها من مسمنات باشان، وتأكلون الشحم إلى الشبع وتشربون الدم إلى السكر من ذبيحتى التى ذبحتها لكم» [سفر حزقيال، إصحاح ٣٩: ١٧ - ١٩].

- **«اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا، وأيها الشعوب اصغوا لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكل نتائجها؛ لأن للرب سخطا على كل الأمم وحُمواً على جيشهم. قد حرّمهم دفعهم إلى الذبح، فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها، وتسيل الجبال بدمائهم. ويغنى كل جند السموات.. للرب سيف قد امتلأ دما»** [سفر إشعيا، إصحاح ٣٤: ١ - ٦]..

* * *

صدقنى - يا عظيم الفاتيكان - إننى عندما أقارن هذا «الفكر الدموى العنصرى اللاإنسانى» بما جاء به المسيح عليه السلام من مثل:

«**تحب قريبك كنفسك**» (رو ١٣ : ٩).

«**أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم**» (متى ٥ : ٤٤).

«**لا تقاوموا الشر**» (متى ٥ : ٣٩).

«**لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء**» (رو ١٢ : ١٩).

«**نُشتم فنبارك، نضطهد فنحتمل، يفترى علينا فنعظ**» (اكو ٤ : ١٢ - ١٣).

«**باركوا على الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا**» (رو ١٢ : ١٤).

«**غير مجازين عن شر بشر، أو عن شتيمة بشتيمة، بل بالعكس مباركين، عالمين أنكم لهذا دعيتم لكى ترثوا بركة**» (ابط ٣ : ٩).

«**إن كان ممكنا، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس**» (رو ١٢ : ١٨).

«**إن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فأسقه؛ لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه، لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير**» (رو ١٢ : ٢٠ - ٢١).

عندما أقارن الفكر الدموى العنصرى اللاإنسانى، الذى جاء فى العهد القديم، بهذه السماحة المثالية التى أوصى بها المسيح عليه السلام . . ثم انظر لصنيع كنيستك ـ وأضرابها ـ يا عظيم الفاتيكان ـ فى إبادة الشعوب فى أمريكا . . وأستراليا . . ونيوزيلاندا . . وإفريقيا . . ولهذا الذى يصنعه الغرب ـ بمباركة كنائسه ـ من النهب الاستعمارى . . والاستعمار الاستيطانى . . والاستخدام المفرط لكل ألوان الأسلحة ـ حتى المحرمة دوليّا ـ ضد المسلمين وغيرهم من الشعوب المستضعفة . . أصل إلى اليقين الذى يقول ـ يا عظيم الفاتيكان ـ إنكم وكنائسكم وأقوامكم لا علاقة لكم بالمسيح عليه السلام ! !

* * *

-٧-

وبعـد ...

فإن الافتراء على الإسلام وأمته وحضارته ليس بالأمر الجديد . . فلقد بدأ هذا الافتراء مع ظهور الإسلام . . وامتد على طول تاريخه . . بل إن الإسلام إنما حقق أعظم الانتصارات فى ظل تصاعد الافتراءات والتحديات . . وما انتشاره فى عقر دار الحضارة المسيحية - حضارة عظيم الفاتيكان - مع ضعف حكومات العالم الإسلامى - إلا الشاهد الصادق على هذه الحقيقة من حقائق هذا الدين .

* ولأن الإسلام هو الذى حرر الشرق من القهر الحضارى الرومانى الذى دام عشرة قرون . . والذى مارست فيه كنيسة عظيم الفاتيكان الاضطهاد الدينى للنصرانية الشرقية ، على النحو الذى ذهب مثلا فى تاريخ الاضطهادات الدينية . . حتى لتؤرخ كنائس الشرق لعصر شهدائها بسنوات هذا الاضطهاد .

ولأن الفتوحات الإسلامية هى التى حررت أرض الشرق وضمائر شعوبه . . وكذلك الثروات التى مثلت أكبر لقمة فى فم النهب والاستغلال الرومانى الغربى . .

لذلك ، بدأ عداء الغرب للإسلام منذ ذلك التاريخ . . واستمر حتى هذه اللحظات .

وعن هذه الحقيقة - فى تاريخ مشكلة الغرب مع الشرق - يقول القائد والكاتب الإنجليزى «جلوب باشا» - جنرال جون باجوت - [١٨٩٧ - ١٩٨٦م] : «**إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنمايعود إلى القرن السابع للميلاد**» ! !

ولهذه الحقيقة أيضا كان تاريخ مؤسسات الهيمنة الغربية - الدينية . . والسياسية - هو تاريخ العمل الدائب على إعادة اختطاف الشرق من الإسلام .

فبعد القرون العشرة التى طوت الفتوحات الإسلامية صفحاتها السوداء . . عاد الغرب لاختطاف الشرق من التحرير الإسلامى، فشن عليه الحملات الصليبية التى دامت قرنين من الزمان . . فلما هزمت دول الفروسية الإسلامية هذه الحملات الصليبية، وأزالت قلاعها وكياناتها الاستيطانية من الشرق . . عاد الغرب بعد إسقاطه غرناطة [سنة ١٤٩٢م] واقتلاعه الإسلام من الأندلس إلى شن هذه الغزوة الصليبية الحديثة، فالتف حول عالم الإسلام . . واقتحم قلبه العربى بغزوة بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١م) سنة ١٧٩٨م . . ثم استولى الغرب على مجمل ديار الإسلام - فى هذه الغزوة التى مضى على بدئها أكثر من خمسة قرون . .

أى أننا أمام سبعة عشر قرنا من الغزو الغربى للشرق، فى تاريخ مكتوب تبلغ قرونه أربعة وعشرين قرنا! . .

* وإذا كانت كنيسة عظيم الفاتيكان قد مارست الافتراء - قديما - على النصرانية الشرقية . . فلقد مارست هذا الافتراء وهذا العدوان على الإسلام عبر ذلك التاريخ الطويل . . ولذلك، فإننا لسنا مندهشين من هذا الافتراء المعاصر؛ لأنه امتداد لتاريخ طويل من الافتراءات .

* وإذا كان هناك من درس تجب الإشارة إليه فى هذا المقام الذى نواجه فيه هذا الفصل الجديد من الافتراء على الإسلام . . فهو التنبيه على حقيقة الحلف الذى جمع ويجمع الكنيسة الكاثوليكية الغربية مع المشروع الإمبريالى الغربى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتصاعد الحرب الباردة بين الرأسمالية الغربية والشيوعية فى منتصف القرن العشرين . .

فتحت قيادة الإمبريالية الأمريكية الصاعدة على أنقاض الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية التقليدية والعتيقة، قررت أمريكا استخدام سلاح الدين - كل دين - ومؤسساته الكبرى فى معركتها - الباردة والساخنة - مع الخصوم . .

- لقد تحالفت مع اليهودية الصهيونية ضد العرب والمسلمين . . وضد الشيوعية . .

- ثم أنشأت «مجلس الكنائس العالمى» أو «مجمع الكنائس المسكونى» سنة ١٩٤٨م . . واستخدمته فى حربها الباردة ضد الشيوعية والمعسكر الاشتراكى . .

ـ ولقد نجحت الإمپريالية الأمريكية فى ضم الكنيسة الكاثوليكية فى الحرب ضد الشيوعية والاتحاد السوڤييتى . . وكان دور بابا الڤاتيكان يوحنا بولص الثانى (١٩٢١ ـ ٢٠٠٥م) فى هذا التحالف الأمريكى ـ الڤاتيكانى، مؤثرا وملحوظا ومشهورا . .

ـ كما نجحت الإمپريالية الأمريكية فى ضم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية إلى مجلس الكنائس العالمى، فى ظل بابوية البابا شنودة الثالث . . بعد مقاومة قبطية شهيرة وطويلة.

ـ ولقد عملت هذه الإمپريالية الأمريكية على توظيف الإسلام فى تحقيق مصالحها الإمپريالية . . فكان حلف بغداد ـ الحلف المركزى ـ سنة ١٩٥٥م . . وامتد هذا التوظيف حتى الجهاد الأفغانى ضد السوڤييت فى ثمانينيات القرن العشرين.

* وبعد سقوط الشيوعية، أوائل العقد الأخير من القرن العشرين، أعلنت الإمپريالية الغربية ـ تحت زعامة أمريكا ـ اتخاذ الإسلام عدوا أحلته محل العدو الشيوعى . . وأطلقت عليه «الخطر الأخضر» الذى حل محل «الخطر الأحمر».

ومنذ ذلك التاريخ، حولت الإمپريالية الأمريكية كل منظومتها المؤسساتية فى الحرب على الإسلام والمسلمين . . حتى كانت «الفرصة السانحة» عقب أحداث ١١ سپتمبر سنة ٢٠٠١م، التى جعلت خطابها الأيديولوچى يعلن ـ بصريح العبارة ـ أن حربها على الإسلام هى «حملة صليبية» . . ضد «الأشرار . . ومحور الشر» . . وضد «الفاشية الإسلامية»! . .

لقد أعلنوا أنهم يريدون إسلاما لا علاقة له بكامل الإسلام . . يريدون إسلاما مثل النصرانية، يقف بأهله عند الشعائر والطقوس . . ويترك دار الإسلام وثروات المسلمين للقيصر الأمريكى . . لقواعده العسكرية . . وشركاته الاحتكارية العابرة للقارات والجنسيات . .

ولذلك، أعلن الكاتب الصهيونى الأمريكى «توماس فريدمان» سنة ٢٠٠١م ـ إبان الغزو الأمريكى لأفغانستان ـ:

«إن الحرب الحقيقية فى المنطقة الإسلامية هى فى المدارس؛ ولذلك يجب أن نفرغ من حملتنا العسكرية بسرعة، لنعود مسلحين بالكتب؛ وذلك لتكوين جيل جديد يقبل

سياساتنا كما يحب شطائرنا»![1] . . أى الحرب الحقيقية هى فى مناهج التعليم الإسلامية، لتفريغها من روح المقاومة والجهاد ضد الغزاة . .

وأعلن المفكر الإستراتيچى الأمريكى «فوكوياما» :

«**إن العالم الإسلامى يختلف عن غيره من الحضارات فى وجه واحد مهم، فهو وحده الذى ولّد تكرارًا خلال الأعوام الأخيرة حركات أصولية مهمة، ترفض لا السياسيات الغربية فحسب، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة الغربية: التسامح الدينى . . والعلمانية نفسها . . ولذلك، فإن الصراع الحالى ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب ـ كما تظهر الحكومة الأمريكية بشكل مفهوم (!!) ـ ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية ـ الفاشية الإسلامية ـ التى تقف ضد الحداثة الغربية . . وعلى المجتمع الإسلامى أن يقرر فيما إذا كان يريد أن يصل إلى وضع سلمى مع الحداثة الغربية، وخاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسى حول الدولة العلمانية**»![2] .

* * *

تلك هى حقيقة المعركة . . وهذه هى مؤسساتها . .

وفى هذا الإطار يجب أن ننظر إلى هذا الفصل الجديد من افتراءات بابا الڤاتيكان ـ بنديكتوس السادس عشر ـ على الإسلام . .

فالقضية ليست محاضرة كال فيها البابا الافتراءات للذات الإلهية . . ولرسول الإسلام ﷺ وللقرآن الكريم ـ وللجهاد الإسلامى . .

والقضية ليست مجرد اعتذار من الرجل للمسلمين، إذا حدث، كان الهدوء والاسترخاء . . **وإنما نحن أمام توظيف إمبريالى غربى ـ وأمريكى بالأساس ـ للكنيسة الكاثوليكية ضد الإسلام، كذلك التوظيف الذى تم لها فى الصراع ضد الشيوعية.**

لقد نجحت أمريكا فى جر الكنيسة الكاثوليكية الغربية ـ فى عهد البابا الراحل يوحنا بولص الثانى ـ فى المعركة ضد الشيوعية . .

(١) صحيفة [وطنى] ـ القاهرة ـ فى ٢٥ ـ ١١ ـ ٢٠٠١م ـ وهى تنقل عن «نيويورك تايمز».

(٢) فوكوياما [نيوزويك] ـ العدد السنوى ـ ديسمبر سنة ٢٠٠١م ـ فبراير سنة ٢٠٠٢م.

واليوم . . وبعد إحلالهم الإسلام عدوا محل الشيوعية، يتم التوظيف للكنيسة الكاثوليكية ـ تحت قيادة البابا بنديكتوس السادس عشر ـ فى الحرب ضد الإسلام . .

تلك هى الحقيقة التى يجب أن يعيها ويتعامل معها العقل الإسلامى . . فنحن لسنا أمام مجرد «سقطة فكرية» لعظيم الفاتيكان . . ولا حتى أمام «موقف أخرق» ـ على حد تعبير النيوزويك الأمريكية ـ فى التعامل مع الإسلام . . وإنما ـ نحن ـ أمام واحد من التحديات الكثيرة والشرسة والمتوالية التى امتلأ بها تاريخنا الطويل .

وفى مواجهة التحديات الشرسة يظهر المعدن النفيس والصلب لهذه الأمة . . . هكذا علمنا التاريخ ! . .

وفى مواجهة التحديات . . وحتى نواجهها وننتصر عليها، لا بد من «ترتيب أولويات العقل المسلم» . . و«ترتيب أوراق الإمكانات» التى يمتلكها المسلمون . . فبإرادة المواجهة والنهوض . . وبإدارة الإمكانات التى نمتلكها، تستجمع الأمة أسباب الصمود . . والنهوض . . والانتصار . .

ولنتذكر ـ فى ختام هذه الدراسة ـ كلمات صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ ـ ٥٨٩ هـ / ١١٣٧ ـ ١١٩٣م] التى كتبها إلى الملك الصليبى «ريتشارد قلب الأسد» [١١٥٧ ـ ١١٩٩م] . . والتى قال فيها :

«القدس إرثنا كما هى إرثكم . . من القدس عرج نبينا إلى السماء . . وفى القدس تجتمع الملائكة . . لا نفكر بأنه يمكن لنا أن نتخلى عنها كأمة مسلمة . .

أما بالنسبة إلى الأرض، فإن احتلالكم فيها كان شيئا عرضيا، وحدث لأن المسلمين الذين عاشوا فى البلاد حينها كانوا ضعفاء .

ولن يمكنكم الله أن تشيدو حجرا واحدا فى هذه الأرض طالما استمر الجهاد»(١) .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول :

---

(١) صحيفة [الحياة] ـ لندن ـ عدد ٢٧ ـ ١ ـ ١٩٩٦ .

«**عليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام**» رواه الإمام أحمد.

و«**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**» رواه الترمذى.

❊ ❊ ❊

والسلام على من اتبع الهدى - يا عظيم الفاتيكان . . ؟

❊ ❊ ❊

ملحق وثائقى

١ ـ نص محاضرة البابا «بنديكت السادس عشر» ..

كما نشرتها صحيفة [وطنى] ـ المسيحية المصرية ـ فى ٢٤ ـ ٩ ـ ٢٠٠٦م .

٢ ـ صورة تصريح البابا شنودة الثالث حول الأسفار القانونية المحذوفة من [العهد القديم] .

كما نشرتها صحيفة [وطنى] ـ المسيحية المصرية ـ فى ٥ ـ ١٠ ـ ٢٠٠٦م .

٣ ـ صورة غلاف كتاب بابا الفاتيكان «بنديكت السادس عشر» ..

الذى يتحدث فيه عن مخاوفه من الإسلام . . ومن أن تتحول أوروبا إلى جزء من دار الإسلام !

ملحق (١)

نص محاضرة البابا بنديكت

التى أثارت الغضب فى العالمين العربى والإسلامى

إنها لتجربة مثيرة بالنسبة لى أن أقف لأحاضر بمدرج هذه الجامعة مجدداً وإننى لأعود إلى تلك السنوات عندما بدأت التدريس فى جامعة «بون» بعد فترة رائعة قضيتها فى «فرايزنجر هو شولة» لقد كان ذلك فى عام ١٩٥٩ أيام كانت هيئة التدريس فى الجامعة القديمة تتألف من أساتذة عاديين، فأساتذة الكراسى العديدون لم يكن لهم مساعدون ولا سكرتارية: ولكن فى المقابل كان هناك تواصل مباشر أكبر مع الطلاب وبين الأساتذة فيما بينهم، على الأخص حين كنا نلتقى قبل وبعد الدروس فى حجرات هيئة التدريس، كما كان هناك تبادل وتواصل مع المؤرخين والفلاسفة وعلماء اللغة، وطبعا بين الكليتين اللاهوتيتين، فبمجرد بدء الفصل الدراسى كانت تعقد حلقات أكاديمية يلتقى فيها أساتذة كل كلية مع طلاب الجامعة كلهم ليجعلوا التجربة الجامعية المتفردة ممكنة، وهى حقيقة أنه بالرغم من تخصصاتنا التى قد تجعل من تواصلنا معا أمراً صعبًا فى بعض الأحيان، إلا أننا استطعنا أن نكون وحدة واحدة **تعمل على أساس من عقلانية منفردة** بنواصيها العديدة فى كل الأمور، وتتشارك **مسئولية حق إعمال العقل**؛ حيث أصبحت هذه الحقيقة تجربة حية، وقد كانت الجامعة كذلك فخورة بكليتيها اللاهوتيتين، وكان من الواضح أنه فيما يخص العقيدة فقد قامت الكليتان بعمل هو بالضرورة جزء من كل من العمل الجامعى، حتى ولو لم يكن الجميع ينتمى **للعقيدة التى يسعى اللاهوتيون لربطها بالعقل** ككل، ولم يعترض هذا الحس **الإدراك الفريد**

داخل محيط العقل للتأثر حتى عندما قيل إن أحد زملائنا يرى أن هناك شيئًا شاذًا بشأن جامعاتنا ألا وهو تكريس كليتيها لشيء لم يوجد وهو الرب فحتى أمام مثل هذه الريبة الأصولية لا يزال من الضرورى والعقلانى أن نطرح مسألة الرب من خلال إعمال العقل، وأن نفعل ذلك فى إطار تقليدية العقيدة المسيحية، فهذا كان مقبولا دون نقاش داخل الجامعة ككل.

مؤخرًا تذكرت هذا، لكن عندما قرأت ما دونه الأستاذ «تيودور خورى» كجزء من حوار دار بين الإمبراطور البيزنطى الموسوعى مانويل الثانى باليجوس وهو دارس فارسى لشئون المسيحية والإسلام وحقيقة كل منهما، وهو حوار دار بالأحرى عام ١٣٩١م فى المنتجعات الشتوية بالقرب من أنقرة، وعلى الأرجح فإن الإمبراطور نفسه هو الذى أرسى هذا الحوار خلال حصار القسطنطينية فى الفترة من عام ١٣٩٤ إلى ١٤٠٢ وهو ما يفسر سبب ذكر مساجلاته تفصيليًا، بصورة أكبر من ردود الفارسى المثقف، والحوار يمتد على نحو واسع ليتناول بناءات العقيدة المتضمنة فى الكتاب المقدس وفى القرآن، ويتعلق بصورة الرب على نحو خاص، وكذلك على صورة الإنسان فيما يعود بشكل متكرر بالضرورة إلى القوانين الثلاثة : العهد القديم والعهد الجديد والقرآن.

وفى هذه المحاضرة فإننى أود مناقشة نقطة واحدة هامشية فى حد ذاتها بالنسبة للحوار نفسه والتى أجدها مثيرة للاهتمام فى مجمل إطار قضية العقيدة والعقل والتى تصلح كنقطة بداية لمراجعاتى حول هذه المسألة.

فى المحاورة السابعة التى حررها البروفيسور «خورى» فإن الإمبراطور يعرض إلى موضوع الجهاد «الحرب المقدسة» فلا بد أن الإمبراطور كان يعرف أن السورة ٢ آية ٢٥٦ «تنص على أنه لا إكراه فى الدين» وهى إحدى سور العصور الأولى من تاريخ الإسلام عندما كان محمد لا يزال مهددا وتعوزه القوة، ولكن من الطبيعى كذلك بالنسبة للإمبراطور أن يكون قد عرف التعليمات «أوامر اللئام» بشأن الحرب المقدسة والتى ذكرت لاحقا ودونت فى القرآن، ودون الدخول فى التفاصيل. مثل الاختلاف فى المعاملة بين أصحاب الكتاب والمشركين فإن «الإمبراطور» ينتقل إلى محدثه بخشونة نوعا ما للمسألة الجوهرية حول العلاقة بين الدين والعنف عمومًا وفى هذه الكلمات :

«أرنى ما الذى أتى به محمد من جديد، فهنا ستجدون أشياء شريرة وغير إنسانية مثل أمره بنشر العقيدة التى دعا إليها بحد السيف» ويواصل الإمبراطور تفسيره تفصيليًا لأسباب كون نشر العقيدة من خلال العنف أمرًا يتنافى مع العقل، فالعنف أمر لا يتماشى مع طبيعة الرب وطبيعة الروح، فالرب لا ترضيه الدماء، وعدم التصرف بعقل هو أمر يتناقض مع طبيعة الرب، فالإيمان يولد من داخل الروح وليس الجسد، فأى شخص يهدى آخر للإيمان هو بحاجة إلى التحدث جيدًا، وأن يعقل الأمور بشكل ملائم دون عنف ودون تهديد، فالمرء ليس بحاجة إلى ذراع قوية أو أية أسلحة من أى نوع أو أى من وسائل التهديد بالموت لإقناع روح متعقلة بالإيمان.

إن القول الفصل من النقاش حول التحول العقائدى باستخدام العنف هو أن عدم التصرف وفقًا للعقل هو أمر مناهض لطبيعة الرب والكاتب «تيودور خورى» يقول بالنسبة لإمبراطور ـ بيزنطى صاغته الفلسفة الإغريقية ـ فإن هذه المقولة هى دليل واضح بذاته، **ولكن بالنسبة للتعاليم الإسلامية فإن الرب مطلق السمو فمشيئته لا تتماشى مع أى من خصائصنا بما فيها العقلانية، وهنا فإن «خورى» يقتبس كتابات الإسلامى الفرنسى المعروف «آر آرنادليز» الذى يشير إلى أن «ابن حزم» ذهب إلى حد الإقرار بأن الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وأنه ما من شىء يلزمه بكشف الحقيقة لنا، ففيما يتعلق بإرادة الله فإنه ينبغى علينا التعبد بشكل وثنى أعمى.**

وهنا نجد تشابهًا بين المعنى اليونانى والإنجيلى لتعريف «الإيمان بالله» ولقد غير جون الآية الأولى فى كتاب «سفر التكوين» وبدأ مقدمة أحد الكتب الأربعة الأولى من العهد الجديد بـ «فى البداية» والتى استخدمها الإمبراطور: الإله يتصرف بالمبدأ الحاكم للكون..

والمبدأ الحاكم يعنى العقل والكلمة.. والعقل هنا يتميز بالإبداع والقدرة على التواصل الذاتى، وبذلك تحدث جون فى كلماته الأخيرة فى الإنجيل عن معنى «الإله» وقال: إن كل الطرق غير المستقيمة للإيمان الإنجيلى وجدت استدلالها المنطقى.

ويقول إيڤانجيليست: فى البداية ظهر المبدأ الحاكم للكون، والمبدأ الحاكم للكون هو الله، كما أن التصادم الذى نشأ بين التفكير اليونانى والإنجيلى لم يكن من قبيل الصدفة، فالرؤية التى رآها القديس باول ـ وهى أنه رأى الطرق إلى آسيا مغلقة، وتوسل له رجل مقدونى لكى يأتى لهم وينقذهم ـ يمكن أن تفسر على أنها خلاصة ضرورة وجود تواصل بين الإيمان الإنجيلى واليونانى.

وفى الحقيقة تم هذا التواصل لفترة، ولكن الاسم الغامض «للرب» مختلف عن كل أسماء الآلهة التى ظهرت، لدرجة أن الفيلسوف سقراط أراد أن يصنع لغزًا مشابهًا لذلك . . وفى العهد القديم كان إله إسرائيل هو إله السماء والأرض، ومع بداية عصر التنوير ازدادت السخرية من الآلهة التى يصنعها الإنسان بيده، وبالرغم من التصادم الذى نشأ بين الإغريق والإنجيل فى مسألة الإيمان، إلا أنه أسفر عن حركة فكرية ثرية فى الأدب . . واليوم نعرف أن ترجمة اليونان للعهد القديم فى الإسكندرية - ترجمة يونانية للتوراة فى القرن الثالث قبل الميلاد - تعد نموذج ترجمة للنص العبرى، وهذه خطوة فريدة ومهمة فى تاريخ ظهور حقائق إلهية، وخطوة لظهور وميلاد المسيحية .

وفى الحقيقة يوجد هنا تصادم بين الإيمان والعقل يتمثل فى التصادم بين الحركة التنويرية والدين .

وبأمانة شديدة يجب أن يلاحظ أى إنسان أنه فى أواخر العصور الوسطى ظهرت اتجاهات دينية مختلفة كان من الممكن أن تفصل هذا الاستدلال المنطقى بين الروح اليونانية المسيحية . . **وفى عقلانية أوجوستاين وتوماس ظهر مذهب الإرادة الذى أدى إلى ادعاء أننا يمكننا معرفة إرادة الرب، ووراء ذلك تكمن حرية الإله، والتى تعنى أنه يمكن أن يناقض أفعاله، وأن يتصرف بشكل لا منطقى، وبذلك لا يمكن إضفاء صفة الألوهية والحقيقة عليه .**

إن تجلى الإله موجود فقط فى عقولنا، فإحساسنا بالحقيقة والخير لا يعد مرآة لصفات الرب الذى تكمن إمكاناته وقدراته وحقائقه خلف قراراته الحقيقية . . وعلى النقيض من ذلك يؤكد إيمان الكنيسة أنه يوجد تجانس بين الإله وبيننا .

كما أن صفة الألوهية لا تنطبق على الرب إذا ابتعدت كينونته عن البشر . يعد تناول الإيمان الإنجيلى والفلسفة اليونانية حدثا مهما ليس فقط دينيًا، ولكن تاريخيًا . . إنه حدث ما زال يشغلنا حتى اليوم، **وبالرغم من الإنجازات التى حققتها الديانة المسيحية فى الشرق إلا أنها بدأت مؤخرا تتسم بطابع نهائى فى أوروبا .**

لقد كانت المطالبة بعدم «أغرقة» المسيحية «أى إبعاد المسيحية عن الإغريقية» سببًا فى مواجهة النظرية التى شكلها التراث اليونانى عن المسيحية . .

لقد أدت هذه المطالبة إلى مناقشات عديدة منذ بداية العصر الحديث وبنظرة أعمق، مرت مرحلة عدم «أغرقة» المسيحية بثلاث مراحل مختلفة فى الأهداف، بالرغم من اتفاقها من حيث المبدأ.

وقد نشأت مرحلة عدم الأغرقة مع بداية الإصلاح فى القرن السادس، فلقد شعر الإصلاحيون أنهم مواجهون بإيمان مرتبط بالفلسفة، أى إيمانا مرتبطا بفكر معين واتجاه معين، وفى الوقت نفسه وجدوا أنهم يتطلعون إلى إيمان بمعنى الكلمة فى الإنجيل. . علاوة على ذلك ظهر علم الغيبيات كعلم منفصل مشتق من مصدر آخر. . الأمر الذى يجب أن يتحرر منه الإيمان لكى يصبح مستقلا عندما قال الفيلسوف «كانت» إنه بحاجة إلى إعادة التفكير لعمل غرفة خاصة للإيمان، نفذ هذا البرنامج بتطرفية شديدة لم يتوقعها الإصلاحيون.

ويعد الاعتقاد الحر فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين إحدى سمات المرحلة الثانية من عملية عدم أغرقة المسيحية، وكان العضو البارز فى هذه المرحلة هو أدولف فون هازاك، وعندما كنت طالبا وفى بداية سنوات تدريسى كان هذا البرنامج مؤثراً لدرجة كبيرة فى الاعتقاد الكاثوليكى؛ حيث تم التمييز بين إله الفلاسفة وإله إبراهام وإسحاق ويعقوب. . وفى محاضرتى الافتتاحية ببون عام ١٩٥٩م، حاولت التطرق لهذا الموضوع. . لن أكرر ما قلته فى هذه المحاضرة، ولكنى أود أن أصف بصورة وجيزة ما هو الجديد فى هذه المرحلة الثانية من عدم أغرقة المسيحية. . لقدكانت الفكرة الرئيسية لهارنك هى الرجوع إلى السيد المسيح والاقتداء بنموذجه، وكانت هذه الفكرة ناتجة عن تراكمات دينية إنسانية. . فلقد وضع السيد المسيح نهاية للعبادة من أجل الأخلاق الإنسانية، وظهر كأب للرسالة الأخلاقية الإنسانية، وكانت الغاية الأساسية هى الوصول بالمسيحية إلى شكل متجانس مع العقل الحديث، شكل متحرر من العناصر الاعتقادية والفلسفية. ما أستطيع أن أقوله عن **السيد المسيح إنه رجل ذو عقل عملى، وبالتالى فهو ذو مكانة عالية فى الجامعة**. . بالإضافة إلى هذا يعتمد المفهوم الحديث للعقل على مفهوم استدلالى يتأرجح ما بين الأفلاطونية والتعبيرية، فمن ناحية إنها تفترض البناء المادى للأشياء، ومن ناحية أخرى تعبر عن قدرة الطبيعة فى أن تتحمل استقلالنا لها، ولا يبقى سوى أن تكون الاختبارات هى الحد الفاصل النهائى للوصول إلى الحقيقة.

وفى الواقع يؤدى هذا إلى بروز مبدأين خطيرين من خلال الموضوع الذى أثرناه وهما :

أولاً : تعد الحقيقة الناتجة عن استخدام المنطق المادى والتعبيرى حقيقة علمية بحتة ، فيجب أن ينظر لأى شىء علمى على أنه مضاد للمعايير . . لذلك فإن العلوم الإنسانية مثل التاريخ وعلم النفس والفلسفة تعد مجالات علمية .

ثانيا : النقطة الأهم هى أن هذه الطريقة تستبعد «البحث عن ذات الإله الأمر الذى يجعله لغزًا غير علمى» .

سنعود إلى هذه المشكلة مؤخرًا . **حاليا يجب أن نلاحظ أن أى محاولات لجعل الاعتقاد «علمى» قد تنتهى بتقليص المسيحية ، ولكن علينا أن نقول المزيد ، فالإنسان هو الذى يقلل من نفسه نتيجة التساؤلات التى يطرحها عن أصله ومصيره تلك الأسئلة التى طرحها الدين وعلم الأخلاقيات** . . وفى النهاية تقرر تجاربه ما هو مادى وملموس فى الشئون الدينية ، وفى الحقيقة «الضمير» هو الحكم الفاصل فيما هو أخلاقى ، **وفى هذا الاتجاه نلاحظ فقدان الأخلاق والدين قوتهما فى تشكيل مجتمع ، واعتبارهما مجرد أشياء شخصية . . إنها حالة خطيرة وصلت إليها الإنسانية . . إن محاولات بناء علم أخلاقى يعتمد على علم النفس والاجتماع محاولات لن تثمر النتائج المرجوة منها .**

وقبل أن أختم يجب أن أشير إلى المرحلة الثالثة من عدم «أغرقة» المسيحية التى هى موجودة الآن . . ففى ظل تجربتنا الملموسة مع التعددية الحضارية ، يقال هذه الأوقات إن التضامن الذى حدث بين الاستدلال المنطقى والإغريقى فى أقدم الكنائس كان مزجًا تمهيديّا للحضارات ، ويجب ألا يمتد لحضارات أخرى ، وقد اقترح البعض الرجوع إلى رسالة العهد الجديد التى تسبق هذا المزج الحضارى . . **والعهد الجديد كتب باليونانية ؛ ولذلك نجده يحمل فى طياته الإغريقية التى تطورت مثلما تطور العهد القديم** . . نعم . . توجد بعض العناصر فى مراحل تطور الكنيسة البدائية التى يجب ألا تنضم إلى كل الحضارات ، ومع ذلك فالقرارات الأساسية التى نتجت عن العلاقة بين الإيمان واستخدام الإنسان للعقل جزء من الإيمان نفسه .

وبهذا وصلت إلى نتيجة نهائية . . هذه المحاولة لا تعنى الرجوع إلى عصر ما قبل التنوير ورفض العصر الحديث ، فيجب استغلال المظاهر الإيجابية للحداثة . . فهذه

نعمة وهبها الإله لنا . فالقيم الأساسية العلمية هى عزيمة يجب أن تطوع لصالح الحقيقة، وهى تعكس أحد المبادئ الأساسية للمسيحية . . لا أقصد هنا أن أوجه نقداً سلبيّا، بل أريد أن نوسع مداركنا لمفهوم العقل وتطبيقاته . . فبينما نسعد بوجود احتمالات نجد أخطاراً يجب أن نتغلب عليها . . ولن يحدث ذلك إلا بإدماج العقل مع الإيمان فى شكل جديد، والتخلى عن التقيد الفكرى، وإذا قمنا بهذا سنجد الاعتقاد ينتمى للجامعة فى شكله الصحيح مع وجود حوارات لمختلف العلوم . . ولن يكون هذا مجرد نظام تاريخى وعلوم إنسانية بل اعتقاد .

إن التحاور بين الحضارات والأديان ما نحتاجه فى هذه الفترة . ففى العالم الغربى تم إثبات أن استخدام العقل الإيجابى بجانب أشكال الفلسفة التى تعتمد على هذا العقل هو الطريق الأمثل .

ومع ذلك نجد أن الدول ذات الحضارات الدينية ترفض استبعاد الألوهية عن عالمية العقل، وتعتبر ذلك هجوماً حاداً على اعتقاداتها . إن العقل الأعمى بمبدأ الألوهية، من يقسم الدين إلى جماعات حضارية مختلفة لا يستطيع التواصل مع مبدأ التحاور بين الحضارات . وفى الوقت نفسه كما أشرت من قبل العقل العلمى الحديث بعنصره الأفلاطونى يحمل فى طياته سؤالاً أبعد من محتواه . . فالعقل العلمى الحديث عليه أن يقبل الترتيب المنطقى والعقلى للأشياء والتواصل بين أرواحنا والطبيعة، فبالنسبة للفلسفة والاعتقاد يعد الاستماع إلى الخبرات والتقاليد الدينية للإنسانية مصدراً هامّاً للمعرفة، وتجاهل هذه الأشياء شىء غير مقبول . ولقد تذكرت شيئاً قاله سقراط لفيدو فى محادثتهما الأولى عندما أثيرت آراء فلسفية خاطئة . . قال سقراط : «سيكون الأمر مفهوماً إذا أصبح شخص ما متعصباً نتيجة كل هذه الشعارات الخاطئة، ولكنه فى النهاية سيخسر الكثير بسبب هذا التعصب الذى سيفقده معرفة حقيقة الوجود» . . وتنطبق هذه المقولة على الغرب، **فالشجاعة هى أن تستعمل العقل، وهذا ما يعتمد عليه الإيمان الإنجيلى . . لا تتصرف بالمبدأ الحاكم للكون ؛ لأن ذلك فيه تعارض لطبيعة الإله . . وفقط باستخدام العقل يمكننا استقبال شركائنا فى حوار الحضارات، وإعادة اكتشاف هذا هو مهمة الجامعة .**

ملحق (٢)



أخبار الأحد

البابا.. في لقاء الأربعاء

الكتاب المقدس بين الحذف والتحريف

تغيير الملة هل يمنع تناول الأسرار المقدسة؟

متابعة : مرجريت عادل

في الاجتماع الاسبوعي لقداسة البابا شنودة الثالث لم يتراجع كم الأسئلة الخاصة بالروحانيات والأسئلة العامة التي تنهال على قداسته بالإضافة إلى موضوع المحاضرة وكان هذا الأسبوع عن طول الأناة.

■ حول سؤال بعث به أحد الحاضرين عن الأسفار المحذوفة من الكتاب المقدس وهل بذلك يكون محرفاً؟

رد قداسة البابا أن هناك فرقاً بين الحذف والتحريف فالتحريف هو التغيير لكن هناك بعض الأسفار القانونية التي تعترف بها الكنيسة الأرثوذكسية وتقرها وهذه غير موجوده بالطبعة المتداولة بين أيدينا وهذا نتيجة حذفها من قبل البروتستانت الذين يقومون بطبع ونشر الكتب المقدسه وهذا لايعني التحريف هذا فضلاً عن أن هناك بعض الكتب المقدسة توجد بها هذه الأسفار دون تغيير.

■ في رسالة أخرى طلبت إحدى الحاضرات السماح والحل من قداسة البابا لممارسة سر التناول بعدما تزوجت مطلقاً ورفضت الكنيسة منحه تصريحاً للزواج فاضطرا إلى تغيير الملة إلى الكاثوليكية وعقد الزواج وأنجبا طفلاً فكان رد قداسة البابا أن التناول لابد وأن يكون باستحقاق كما ذكر بولس الرسول في رسالته الأولى لأهل كورنثوس(إصحاح ١١)وقال لها:لابد من تصحيح هذا الوضع أولاً بالرجوع إلى أسقف الإيبارشية التابعة لها

■ هل كان الخمر الذي قام السيد المسيح بتحويله من الماء مسكراً؟

●● قال قداسة البابا رداً على هذا السؤال إن الخمر الذي قام السيد المسيح بتحويله كان خمراً جيداً وهو يعني أنه خمر غير مسكر مثلما ذكر عن يوحنا المعمدان الذي قيل عنه خمراً مسكراً لم يشرب

صورة تصريح البابا شنودة الثالث

حول الأسفار القانونية المحذوفة من [العهد القديم]

والتي تم نشرها بصحيفة [وطنى] المسيحية المصرية فى ٥/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

الكتاب المقدس بين الحذف والتحريف

تغيير الملة هل يمنع تناول الأسرار المقدسة؟

فى الاجتماع الأسبوعى لقداسة البابا شنودة الثالث لم يتراجع كم الأسئلة الخاصة بالروحانيات والأسئلة العامة التى تنهال على قداسته، بالإضافة إلى موضوع المحاضرة، وكان هذا الأسبوع عن «طول الأناة».

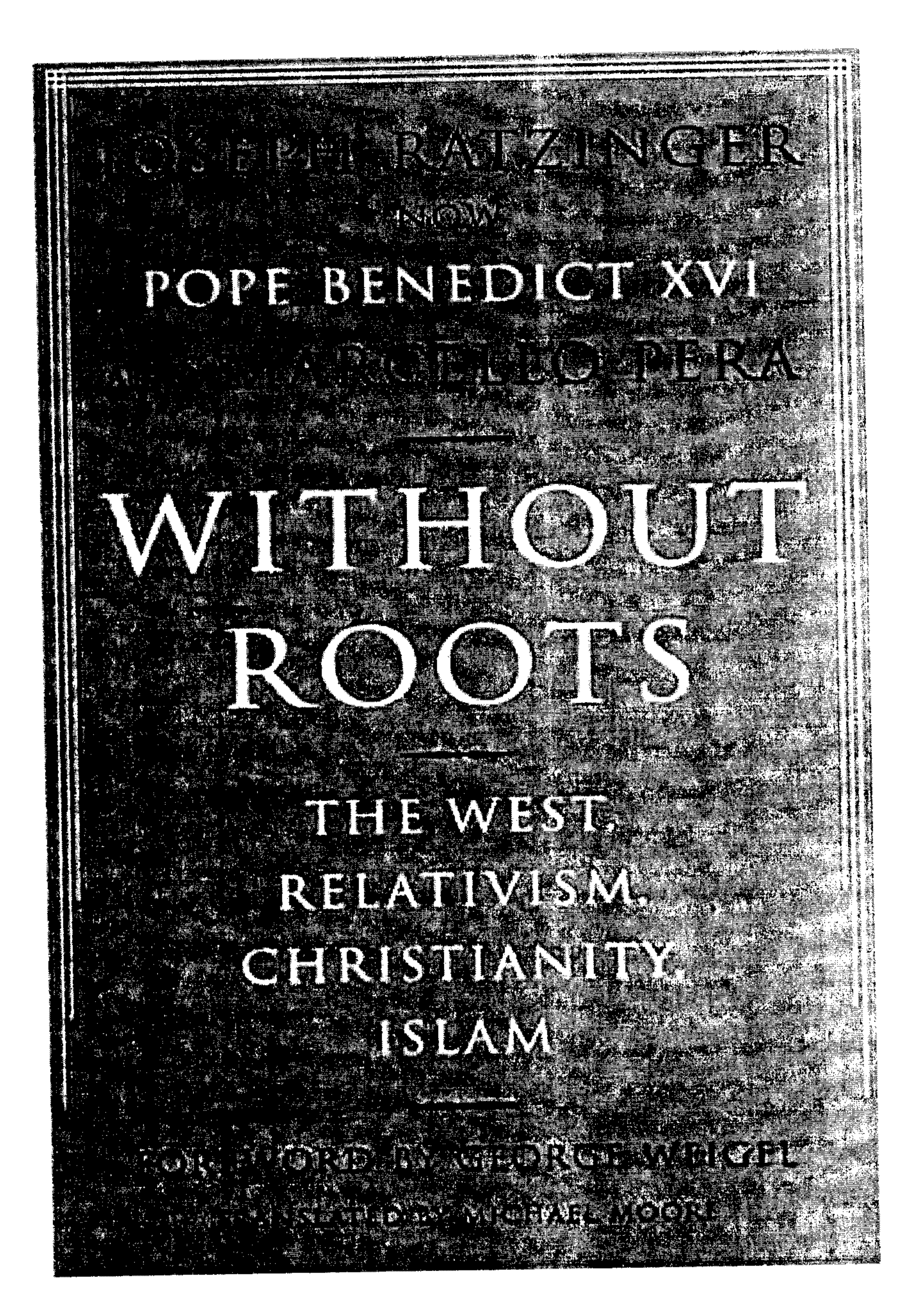
■ حول سؤال بعثه أحد الحاضرين عن الأسفار المحذوفة من الكتاب المقدس، وهل بذلك يكون محرفًا!

ـ رد قداسة البابا أن هناك فرقًا بين الحذف والتحريف، فالتحريف هو التغيير، لكن هناك بعض الأسفار القانونية التى تعترف بها الكنيسة الأرثوذكسية وتقرها، وهذه غير موجودة بالطبعة المتاحة بين أيدينا، وهذا نتيجة حذفها من قبل الپروتستانت الذين يقومون بطبع ونشر الكتب المقدسة، وهذا لا يعنى التحريف، هذا فضلا عن أن هناك بعض الكتب المقدسة توجد بها هذه الأسفار دون تغيير.

■ فى رسالة أخرى طلبت إحدى الحاضرات السماح «والحل» من قداسة البابا لممارسة سر التناول بعدما تزوجت مطلّقًا رفضت الكنيسة منحه تصريحًا للزواج، فاضطرا إلى تغيير الملة إلى الكاثوليكية وعقدا الزواج وأنجبا طفلا، فكان رد قداسة البابا أن التناول لا بد وأن يكون باستحقاق كما ذكر بولس الرسول فى رسالته الأولى لأهل كورنثوس (إصحاح ١١) وقال لها: لا بد من تصحيح هذا الوضع أولا بالرجوع إلى أسقف الإيبارشية التابعة لها.

■ هل كان الخمر الذى قام السيد المسيح بتحويله من الماء مسكرًا؟

ـ قال قداسة البابا ردًا على هذا السؤال: إن الخمر الذى قام السيد المسيح بتحويله كان خمرًا جيدًا، وهو يعنى أنه خمر غير مسكر مثلما ذكر عن يوحنا المعمدان الذى قيل عنه خمرًا مسكرًا لم يشرب.



صورة غلاف كتاب البابا

الذى يتحدث فيه عن مخاوفه من الإسلام..

ومن أن تصبح أوروبــا جزءاً من دار الإسلام!

چوزيف راتزينجر

الآن

البابا بينديكت السادس عشر

ومارسيلو پيرا

بلا جذور

الغرب
النسبية
المسيحية
الإسلام

الناشر Basic Books
نيويورك ٢٠٠٦م

ترجمة صورة غلاف كتاب البابا

المصادر والمراجع

- **آدم متز :** [الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى] ترجمة : د . محمد عبد الهادى أبو ريدة . طبعة بيروت سنة ١٩٦٧ .
- **ابن تيمية :** [الفتاوى] طبعة الرياض سنة ١٣٨١هـ .
- **ابن حزم :** [الفصل فى الملل والأهواء والنحل] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م .
- **ابن عبد البر :** [الدرر فى اختصار المغازى والسير] تحقيق : د . شوقى ضيف . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م .
- **ابن هشام - أبو محمد عبد الملك :** [مختصر سيرة ابن هشام] طبعة القاهرة سنة ١٤٢٢هـ / سنة ٢٠٠٢م .
- **د . أحمد شلبى :** [مقارنة الأديان] طبعة القاهرة .
- **أرنولد - سيرتوماس :** [الدعوة إلى الإسلام] ترجمة : د . حسن إبراهيم حسن ، د . عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م .
- **الأفغانى - جمال الدين :** [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م .

  [الآثار الكاملة] جمع وإعداد : سيد هادى خسرو شاهى .

  تقديم : د . محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٢م .
- **الجاحظ :** [كتاب الحيوان] تحقيق : عبد السلام هارون - طبعة القاهرة - الثانية .

• د. جاك تاجر: [أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢م] طبعة الهيئة القبطية بالمهجر - مدينة جرمى - أمريكا سنة ١٩٨٤م.
• الجبرتى: [عجائب الآثار فى التراجم والأخبار] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م.
• جيوم - الفريد: [الفلسفة وعلم الكلام] - بحث منشور بكتاب [تراث الإسلام] ترجمة: جرجيس فتح الله - طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.
• حسن البنا: [مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا] طبعة القاهرة - دار الشهاب - بدون تاريخ.
• زالمان شازار - محرر: [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث] ترجمة: د. أحمد محمد هويدى - تقديم ومراجعة: د. محمد خليفة حسن - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.
• ستونر سوندرز: [الحرب الباردة الثقافية] ترجمة: طلعت الشايب. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٢م.
• د. سيجريد هونكة: [الله ليس كذلك] ترجمة: د. غريب محمد غريب. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م. [العقيدة والمعرفة] ترجمة: عمر لطفى العالم. طبعة دمشق سنة ١٩٨٧م.
• الصالحى الشامى - محمد بن يوسف: [سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد] تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد. طبعة القاهرة سنة ١٤١٨هـ/ سنة ١٩٩٧م.
• د. صبرى أبو الخير سليم: [تاريخ مصر فى العصر البيزنطى] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.
• د. طه حسين: [الفتنة الكبرى] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٤م.
• الطهطاوى - رفاعة رافع: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.
• عبد الجبار بن أحمد الهمدانى - القاضى: [فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة] تحقيق: فؤاد سيد. طبعة تونس سنة ١٩٧٢م.

● د. **على فهمى خشيم:** [الجبائيان : أبو على وأبو هاشم] طبعة طرابلس ـ ليبيا سنة ١٩٦٨م.

● **الغزالى ـ أبو حامد:** [الاقتصاد فى الاعتقاد] طبقة القاهرة ـ مكتبة صبيح ـ بدون تاريخ.

[مشكاة الأنوار] طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

[رسالة الغزالى إلى ملكشاه] طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

[أسرار المخلوقات] طبعة القاهرة سنة ١٩٩١م.

[المضنون به على غير أهله] طبعة القاهرة ـ مكتبة الجندى ـ ضمن مجموعة [القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى] بدون تاريخ.

● د. **فؤاد حسنين على:** [التوراة : عرض وتحليل] طبعة القاهرة سنة ١٩٤٦م.

● **فيليب فارج، يوسف كرباج:** [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ترجمة : بشير السباعى. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م.

● **الماوردى:** [أدب القاضى] طبعة بغداد سنة ١٩٧١م.

● **محمد عبده ـ الأستاذ الإمام:** [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.. وطبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.. وسنة ٢٠٠٦م.

● د. **محمد عمارة:** [الإسلام فى عيون غربية] طبعة القاهر سنة ٢٠٠٤م.

[فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٥م.

[الغرب والإسلام : أين الخطأ وأين الصواب؟] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٤م.

[الغرب والإسلام : افتراءات لها تاريخ] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

[الإسلام والآخر : من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

[فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٣م.
[الإسلام وتحديات العصر] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٤م.
[الإسلام والحرب الدينية] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٤م.
[الإسلام والأقليات] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٣م.
[أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.
[فى المسألة القبطية حقائق وأوهام] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.
[شبهات حول الإسلام] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٢م.
[شبهات حول القرآن الكريم] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٣م.
[السماحة الإسلامية] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.
[حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٥م.
[الموقف من الديانات الأخرى] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٥م.
[الموقف من الحضارات الأخرى] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م.
[الإصلاح بالإسلام] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

- **مكسيم رودنسون:** [الصورة العربية والدراسات العربية الإسلامية] دراسة منشورة بكتاب [تراث الإسلام] بإشراف «شاخت» و«بوزورت» ترجمة: د. محمد زهير السمهورى. مراجعة: د. شاكر مصطفى. طبعة الكويت سنة ١٩٧٨م.
- **مونتجمرى وات:** [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر] ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.
- **هوبرت هيركومر، جيرنوت روتر:** [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ترجمة: ثابت عيد. تقديم: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م.

• **يعقوب نخلة روفيلة :** [تاريخ الأمة القبطية] تقديم : د. جودت جبره. طبعة مؤسسة مارمرقس . القاهرة سنة ٢٠٠٠م .

• **يوحنا النقيوسى :** [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى : رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ترجمة ودراسة د. عمر صابر عبد الجليل. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

* * *

دوريـات

[الأسبوع] القاهرة ـ عدد ٥ ـ ١١ ـ ٢٠٠١م .

[الأهرام] القاهرة ـ مقال : أسامة سرايا ـ عدد ١٣ ـ ١٠ـ ٢٠٠٦م .

[البصائر] الجزائر ـ مقال : د. عمار الطالبى ـ عدد ١٠ ـ ٧ ـ ٢٠٠٦م .

[الحياة] لندن ـ عدد ٢٧ ـ ١ ـ ١٩٩٦م .

[الشرق الأوسط] لندن ـ ملحق «منتدى الكتب» عدد ٢٦ ـ ٤ ـ ٢٠٠٦م .

: مقال عطاء الله مهاجرانى ـ عدد ٢٦ ـ ٩ ـ ٢٠٠٦م .

: مقال السيد ولد أباه ـ عدد ٢١ ـ ٩ ـ ٢٠٠٦م .

: عدد ـ ١ ـ ١٠ ـ ١٩٩٩م .

[العالم الإسلامى] مكة ـ عدد ١٦ ـ ١١ ـ ٢٠٠١م .

[عقيدتى] القاهرة ـ عدد ٦ ـ ١١ ـ ٢٠٠١م .

[لوموند] باريس ـ مقال هنرى تنك ـ عدد ١٨ ـ ٤ ـ ٢٠٠٦م .

[المدينة] السعودية ـ ملحق [الرسالة] ـ عدد ٦ ـ ١٠ ـ ٢٠٠٦م .

[نيوزويك] الأمريكية ـ الطبعة العربية ـ عدد ١٢ ـ ٤ ـ ٢٠٠٥م.

عدد ١٩ ـ ٤ ـ ٢٠٠٥م.

عدد ٣ ـ ٥ ـ ٢٠٠٥م.

عدد ديسمبر سنة ٢٠٠١م ـ فبراير سنة ٢٠٠٢م.

عدد ٢٧ ـ ٢ ـ ٢٠٠٧م.

[وجهات نظر] القاهرة من خطاب للبابا شنودة الثالث ـ عدد ديسمبر سنة ٢٠٠٥م.

[وطنى] ـ القاهرة ـ عدد ٢٤ ـ ٩ ـ ٢٠٠٦م.

عدد ٥ ـ ١٠ ـ ٢٠٠٦م.

• الدكتور محمد عمارة •

١- سيرة ذاتية .. فى نقاط

* مفكر إسلامى . . ومؤلف . . ومحقق . . وعضو «مجمع البحوث الإسلامية» ـ بالأزهر الشريف .

* ولد بريف مصر ـ ببلدة «صروه»، مركز «قلين»، محافظة «كفر الشيخ» ـ فى ٢٧ من رجب سنة ١٣٥٠هـ/ ٨ من ديسمبر سنة ١٩٣١م ـ فى أسرة ميسورة الحال ـ ماديًا ـ تحترف الزراعة . . وملتزمة دينيًا .

* قبل مولده، كان والده قد نذر لله : إذا جاء المولود ذكرًا، أن يسميه محمدًا، وأن يهبه للعلم الدينى ـ أى يطلب العلم فى الأزهر الشريف .

* حفظ القرآن وجَوَّده بـ«كُتَّاب» القرية . . مع تلقى العلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية ـ مرحلة التعليم الإلزامى ـ .

* فى سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م التحق «بمعهد دسوق الدينى الابتدائى» ـ التابع للجامع الأزهر الشريف ـ . . ومنه حصل على شهادة الابتدائية سنة ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٩م .

* وفى المرحلة الابتدائية ـ النصف الثانى من أربعينيات القرن العشرين ـ بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية والإسلاميّة، والأدبيّة والثقافية . . فشارك فى العمل الوطنى ـ قضية استقلال مصر . . والقضية الفلسطينيّة ـ بالخطابة فى المساجد . . والكتابة ـ نثرًا وشعرًا ـ وكان أول مقال نشرته له صحيفة «مصر الفتاة» ـ بعنوان «جهاد» ـ عن فلسطين ـ فى أبريل سنة ١٩٤٨م ـ وتطوع للتدريب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية . . لكن لم يكن له شرف الذهاب إلى فلسطين .

* فى سنة ١٩٤٩م، التحق «بمعهد طنطا الأحمدى الدينى الثانوى» ـ التابع للجامع الأزهر الشريف ـ ومنه حصل على الثانوية الأزهرية سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .

* وواصل ـ فى مرحلة الدراسة الثانوية ـ اهتماماته السياسية والأدبية والثقافيّة . . ونشر شعرًا ونثرًا فى صحف ومجلات «مصر الفتاة»، و«منبر الشرق»، و«المصرى»، و«الكاتب» . . وتطوع للتدريب على السلاح بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦م فى سنة ١٩٥١م .

* فى سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م التحق «بكلية دار العلوم» - جامعة القاهرة. . وفيها تخرج، ونال درجة «الليسانس» فى اللغة العربيّة والعلوم الإسلامية - ولقد تأخر تخرجه - بسبب نشاطه السياسى - إلى سنة ١٩٦٥ بدلاً من سنة ١٩٥٨م.

* تواصل - فى مرحلة الدراسة الجامعية - نشاطه الوطنى والأدبى والثقافى. . فشارك فى «المقاومة الشعبية»، بمنطقة قناة السويس، إبان مقاومة الغزو الثلاثى لمصر سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م. .

* ونشر المقالات فى صحيفة «المساء» - المصرية - ومجلة «الآداب». . البيروتيّة. . وألَّف ونشر أول كتبه عن «القومية العربية»، سنة ١٩٥٨م.

* وبعد التخرج من الجامعة، أعطى كل وقته - تقريبًا - وجميع جهده لمشروعه الفكرى، فجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة: رفاعة رافع الطهطاوى. . وجمال الدين الأفغانى. . ومحمد عبده. . وعبد الرحمن الكواكبى. . وعلى مبارك. . وقاسم أمين. . وكتب الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامى. . مثل: الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا. . والشيخ محمد الغزالى. . وعمر مكرم. . ومصطفى كامل. . وخير الدين التونسى. . ورشيد رضا. . وعبد الحميد بن باديس. . ومحمد الخضر حسين. . وأبى الأعلى المودودى. . وحسن البنا. . وسيد قطب. . والشيخ محمود شلتوت. . إلخ.

* ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم: عمر بن الخطاب. . وعلى بن أبى طالب. . وأبو ذر الغفارى. . وأسماء بنت أبى بكر. . كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامى - القديمة والحديثة - وعن أعلام التراث الإسلامى، مثل: غيلان الدمشقى. . والحسن البصرى. . وعمرو بن عبيد. . والنفس الزكية: محمد بن الحسن. . وعلى بن محمد. . والماوردى. . وابن رشد (الحفيد). . والعز بن عبد السلام. . إلخ. .

* وتناولت كتبه - التى تجاوزت المائة والثمانين - السمات المميزة للحضارة الإسلاميّة. والمشروع الحضارى الإسلامى. . والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية. . وتيارات العلمنة والتغريب. . وصفحات العدل الاجتماعى الإسلامى. . والعقلانية الإسلامية. .

* وحاور وناظر العديد من أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة. .

* وحقّق عددًا من نصوص التراث الإسلامى - القديم منه والحديث. . .

* وكجزء من عمله العلمى ومشروعه الفكرى، حصل - من كلية دار العلوم - فى العلوم الإسلامية - تخصص الفلسفة الإسلامية - على الماجستير سنة ١٣٩٠هـ/ سنة ١٩٧٠م.

بأطروحة عن «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية» . . وعلى الدكتوراه سنة ١٣٩٥هـ/ سنة ١٩٧٥م، بأطروحة عن «الإسلام وفلسفة الحكم» .

* أسهم فى تحرير العديد من الدوريات الفكريّة المتخصصة . . وشارك فى العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية فى وطن العروبة وعالم الإسلام وخارجهما . . كما أسهم فى تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامة، مثل : «موسوعة السياسة»، و«موسوعة الحضارة العربية»، و«موسوعة الشروق»، و«موسوعة المفاهيم الإسلاميّة»، و«الموسوعة الإسلامية العامة»، و«موسوعة الأعلام» . . . إلخ .

* نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثيّة، منها : «المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة» - بمصر، و«المعهد العالمى للفكر الإسلامى» - بواشنطن، و«مركز الدراسات الحضارية» - بمصر، و«المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية» - مؤسسة آل البيت - بالأردن . . و«مجمع البحوث الإسلامية» بالأزهر الشريف . .

* حصل على عدد من الجوائز والأوسمة . . والشهادات التقديريّة . . والدروع . . منها : «جائزة جمعية أصدقاء الكتاب» - بلبنان - سنة ١٩٧٢م . . وجائزة الدولة التشجيعية - بمصر - سنة ١٩٧٦م . . ووسام العلوم والفنون . . من الطبقة الأولى - بمصر - سنة ١٩٧٦م . . وجائزة على وعثمان حافظ - لفكر العام - سنة ١٩٩٣م . . وجائزة المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية . . سنة ١٩٩٧م . . ووسام التيار القومى الإسلامى - القائد المؤسس - سنة ١٩٩٨م . وجائزة مؤسسة أحمد كانو - للدراسات الإسلامية - بالبحرين سنة ٢٠٠٥م .

* جاوزت أعماله الفكرية - تأليفًا وتحقيقًا - مائة وثمانين كتابًا، وذلك غير ما نشر له فى الصحف والمجلات . .

* ترجم العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية . . مثل : التركية، والمالاوية، والفارسية، والأوردية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية، والألمانية، والألبانية، والبوسنية .

* الاسم - رباعيًا : محمد عمارة مصطفى عمارة . .

* والعنوان : جمهورية مصر العربية - ١٣ ب شارع كورنيش النيل - أغاخان - القاهرة - هاتف ٢٢٠٥٥٦٦١ - فاكس ٢٢٠٥٥٦٦٢ .

* * *

٢ـ ثبت بأعماله الفكرية:

أـ تأليف:

١ ـ معالم المنهج الإسلامى ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٢ ـ الإسلام والمستقبل ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٣ ـ نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٤ ـ معارك العرب ضد الغزاة ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٨م.

٥ ـ الغارة الجديدة على الإسلام ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة سنة ٢٠٠٧م.

٦ ـ جمال الدين الأفغانى بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٧ ـ الشيخ محمد الغزالى: الموقع الفكرى والمعارك الفكرية ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٧م.

٨ ـ الوعى بالتاريخ وصناعة التاريخ ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة سنة ٢٠٠٧م.

٩ ـ التراث والمستقبل ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

١٠ ـ الإسلام والتعددية: التنوع والاختلاف فى إطار الوحدة ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٧م.

١١ ـ الإبداع الفكرى والخصوصية الحضارية ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة سنة ٢٠٠٧م.

١٢ ـ الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا: إسلامية الدولة والمدنية والقانون ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٩م.

١٣ ـ الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٧م.

١٤ ـ الإسلام وفلسفة الحكم ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٦م.

١٥ ـ معركة الإسلام وأصول الحكم ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٥م.

١٦ ـ الإسلام والفنون الجميلة ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٥م.

١٧ ـ الإسلام وحقوق الإنسان ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٦م.

١٨ ـ الإسلام والثورة ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.

١٩ ـ الإسلام والعروبة ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.

٢٠ ـ الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.

٢١ ـ هل الإسلام هو الحل؟ لماذا؟ وكيف؟ ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٦م.

٢٢ ـ سقوط الغلو العلمانى ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٢م.

٢٣ ـ الغزو الفكرى وهم أم حقيقة؟ ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٦م.

٢٤ ـ الطريق إلى اليقظة الإسلاميّة ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٠م.

٢٥ ـ تيارات الفكر الإسلامى ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٧م.

٢٦ ـ الصحوة الإسلاميّة والتحدى الحضارى ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٥م.

٢٧ ـ المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانيّة ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.

٢٨ ـ عندما أصبحت مصر عربية إسلامية ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٥م.

٢٩ ـ العرب والتحدى ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩١م.

٣٠ ـ مسلمون ثوار ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٦م.

٣١ ـ التفسير الماركسى للإسلام ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٥م.

٣٢ ـ الإسلام بين التنوير والتزوير ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٢م.

٣٣ ـ التيار القومى الإسلامى ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٦م.

٣٤ ـ الإسلام والأمن الاجتماعى ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٢م.

٣٥ ـ الأصولية بين الغرب والإسلام ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٦م.

٣٦ ـ الجامعة الإسلاميّة والفكرة القوميّة ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٤م.

٣٧ ـ قاموس المصطلحات الاقتصاديّة فى الحضارة الإسلامية ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٣م.

٣٨ ـ عمر بن عبد العزيز ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٧م.

٣٩ ـ جمال الدين الأفغانى: موقظ الشرق ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.

٤٠ ـ محمد عبده: تجديد الدنيا بتجديد الدين ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٧م.

٤١ ـ عبد الرحمن الكواكبى ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٧م .
٤٢ ـ أبو الأعلى المودودى ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٧م .
٤٣ ـ رفاعة الطهطاوى ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٧م .
٤٤ ـ على مبارك ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م .
٤٥ ـ قاسم أمين ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م .
٤٦ ـ التحرير الإسلامى للمرأة ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٢م .
٤٧ ـ الإسلام فى عيون غربية ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٦م .
٤٨ ـ الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٢م .
٤٩ ـ فى فقه الصراع على القدس وفلسطين ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٦م .
٥٠ ـ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ٢٠٠٦م .
٥١ ـ الإسلام وتحديات العصر ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٤م .
٥٢ ـ الإسلام فى مواجهة التحديات ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٦م .
٥٣ ـ القدس الشريف رمز الصراع وبوابة الانتصار ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ٢٠٠٦م .
٥٤ ـ هذا إسلامنا : خلاصات الأفكار ـ دار الوفاء ـ سنة ٢٠٠٠م .
٥٥ ـ الصحوة الإسلامية فى عيون غربية ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م .
٥٦ ـ الغرب والإسلام ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م .
٥٧ ـ أبو حيان التوحيدى ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م .
٥٨ ـ ابن رشد بين الغرب والإسلام ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م .
٥٩ ـ الانتماء الثقافى ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م .
٦٠ ـ التعددية : الرؤية الإسلامية والتحديات الغربيّة ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م .
٦١ ـ صراع القيم بين الغرب والإسلام ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م .
٦٢ ـ الدكتور يوسف القرضاوى : المدرسة الفكريّة والمشروع الفكرى ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م .

٦٣ ـ عندما دخلت مصر فى دين الله ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.

٦٤ ـ الحركات الإسلامية: رؤية نقدية ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٦٥ ـ المنهج العقلى فى دراسات العربية ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.

٦٦ ـ النموذج الثقافى ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٦٧ ـ تجديد الدنيا بتجديد الدين ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٦٨ ـ الثوابت والمتغيرات فى فكر اليقظة الإسلاميّة الحديثة ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.

٦٩ ـ نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٧٠ ـ التقدم والإصلاح: بالتنوير الغربى أم بالتجديد الإسلامى؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٧١ ـ الحملة الفرنسية فى الميزان ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٧٢ ـ الحضارات العالمية: تدافع أم صراع؟ ـ نهصة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٧٣ ـ إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٧٤ ـ القدس بين اليهودية والإسلام ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

٧٥ ـ الأقليات الدينية والقومية: تنوع ووحدة أم تفتيت واختراق؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٧٦ ـ السنة النبوية والمعرفة الإنسانية ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٠م.

٧٧ ـ خطر العولمة على الهوية الثقافية ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

٧٨ ـ مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٠م.

٧٩ ـ فى التحرير الإسلامى للمرأة ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٣م.

٨٠ ـ المستقبل الاجتماعى للأمة الإسلامية ـ نهضة مصر ـ ٢٠٠٣م.

٨١ ـ الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٦م.

٨٢ ـ السماحة الإسلامية ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٦م.

٨٣ ـ الشيخ عبد الرحمن الكواكبى: هل كان علمانيا؟ ـ نهضة مصر ـ ٢٠٠٦م.

٨٤ ـ أزمة الفكر الإسلامى الحديث ـ نهضة مصر ـ ٢٠٠٦م.
٨٥ ـ هل المسلمون أمة واحدة؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.
٨٦ ـ الغناء والموسيقى : حلال أم حرام؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.
٨٧ ـ شبهات حول القرآن الكريم ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٣م.
٨٨ ـ تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.
٨٩ ـ الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٠م.
٩٠ ـ الظاهرة الإسلامية ـ المختار الإسلامى ـ سنة ١٩٩٨م.
٩١ـ الوسيط فى المذاهب والمصطلحات الإسلامية ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٦م.
٩٢ ـ إسلاميات السنهورى باشا ـ دار الوفاء ـ سنة ٢٠٠٦م.
٩٣ ـ النص الإسلامى بين الاجتهاد والجمود والتاريخية ـ دار نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٧م.
٩٤ ـ أزمة الفكر الإسلامى المعاصر . نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٧م.
٩٥ ـ المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد ـ دار المعارف ـ سنة ١٩٨٣م.
٩٦ ـ العطاء الحضارى للإسلام ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٤م.
٩٧ ـ إسلامية المعرفة ماذا تعنى؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٧م.
٩٨ ـ الإسلام وضرورة التغيير ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٧م.
٩٩ ـ الإسلام والحرب الدينية ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٤م.
١٠٠ ـ ثورة الزنج ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٠م.
١٠١ ـ دراسات فى الوعى بالتاريخ ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٠م.
١٠٢ ـ الإسلام والوحدة القومية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٩م.
١٠٣ ـ الإسلام والسلطة الدينية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ سنة ١٩٨٠م.
١٠٤ ـ الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية ـ دار ثابت ـ القاهرة سنة ١٩٨٢م.

١٠٥ ـ فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٧م.
١٠٦ ـ سلامة موسى: اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية؟ ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٥م.
١٠٧ ـ العالم الإسلامى والمتغيرات الدولية ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٧م.
١٠٨ ـ عالمنا: حضارة أم حضارات؟ ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٧م.
١٠٩ ـ الجديد فى المخطط الغربى تجاه المسلمين ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٧م.
١١٠ ـ العلمانية بين الغرب والإسلام ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٦م.
١١١ ـ محمد عبده: سيرته وأعماله ـ دار القدس ـ بيروت سنة ١٩٧٨م.
١١٢ ـ نظرة جديدة إلى التراث ـ دار قتيبة ـ دمشق ـ سنة ١٩٨٨م.
١١٣ ـ القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب ـ دار الفكر ـ القاهرة سنة ١٩٥٨م.
١١٤ ـ الفكر القائد للثورة الإيرانيّة ـ دار ثابت ـ القاهرة سنة ١٩٨٢م.
١١٥ ـ ظاهرة القومية فى الحضارة العربية ـ الكويت سنة ١٩٨٣م.
١١٦ ـ رحلة فى عالم الدكتور محمد عمارة ـ حوار ـ دار الكتاب الحديث ـ بيروت سنة ١٩٨٩م.
١١٧ ـ نظرية الخلافة الإسلامية ـ دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة سنة ١٩٨٠م.
١١٨ ـ العدل الاجتماعى لعمر بن الخطاب ـ دار الثقافة الجديدة ـ سنة ١٩٧٨م.
١١٩ ـ الفكر الاجتماعى لعلى بن أبى طالب ـ دار الثقافة الجديدة ـ سنة ١٩٧٨م.
١٢٠ ـ إسرائيل هل هى ساميّة؟ ـ دار الكاتب العربى ـ القاهرة سنة ١٩٦٨م.
١٢١ ـ الإسلام وأصول الحكم: دراسات ووثائق ـ المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٨٥م.
١٢٢ ـ الدين والدولة ـ الهيئة العامة للكتاب ـ سنة ١٩٩٧م.
١٢٣ ـ الاستقلال الحضارى ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٧م.
١٢٤ ـ الإسلام وقضايا العصر ـ دار الوحدة ـ بيروت سنة ١٩٨٤م.

١٢٥ ـ الإسلام والعروبة والعلمانيّة ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨١م.

١٢٦ ـ الفريضة الغائبة: عرض وحوار وتقييم ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٣م.

١٢٧ ـ التراث فى ضوء العقل ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.

١٢٨ ـ فجر اليقظة القوميّة ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.

١٢٩ ـ العروبة فى العصر الحديث ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.

١٣٠ ـ الأمة العربية وقضية الوحدة ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.

١٣١ ـ أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصرَ ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة ـ القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

١٣٢ ـ فى المسألة القبطيّة: حقائق وأوهام ـ مكتبة الشروق الدوليّة ـ القاهرة ـ سنة ٢٠٠٤م.

١٣٣ ـ الإسلام والآخر: من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٤م.

١٣٤ ـ فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام ـ مكتبة الشروق الدوليّة ـ القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

١٣٥ ـ الإسلام والأقليات: الماضى والحاضر والمستقبل ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

١٣٦ ـ مستقبلنا بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٤م.

١٣٧ ـ الغرب والإسلام: أين الخطأ؟ وأين الصواب؟ ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٤م.

١٣٨ ـ مقالات الغلو الدينى واللادينى ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٤م.

١٣٩ ـ فى فقه الحضارة الإسلامية ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٣م.

١٤٠ ـ الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٥م.

١٤١ ـ فى المشروع الحضارى الإسلامى ـ مركز الراية ـ جدة سنة ٢٠٠٤م.

١٤٢ ـ شخصيات لها تاريخ ـ مركز الراية ـ جدة سنة ٢٠٠٤م.

١٤٣ ـ شبهات وإجابات حول القرآن الكريم ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ سنة ٢٠٠١م.

١٤٤ ـ الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة ـ سنة ٢٠٠١م.

١٤٥ ـ شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ج١، ٢، ٣ ـ سنة ٢٠٠١م.

ب ـ دراسة وتحقيق:

١٤٦ ـ الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٣م.

١٤٧ ـ الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٩م.

١٤٨ ـ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ سنة ٢٠٠٦م.

١٤٩ ـ الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبى ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٧م.

١٥٠ ـ طبائع الاستبداد ـ للكواكبى ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٧م.

١٥١ ـ الأعمال الكاملة لقاسم أمين ـ دار الشروق ـ القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

١٥٢ ـ رسائل العدل والتوحيد ـ دار الشروق ـ القاهرة سنة ١٩٨٧م.

١٥٣ ـ كتاب الأموال ـ لأبى عبيد القاسم بن سلام ـ دار الشروق ـ القاهرة سنة ١٩٨٩م.

١٥٤ ـ رسالة التوحيد ـ للإمام محمد عبده ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٣م.

١٥٥ ـ الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٧م.

١٥٦ ـ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ـ لابن رشد ـ دار المعارف ـ سنة ١٩٩٩م.

١٥٧ ـ التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ ـ لمحمد مختار باشا المصرى ـ المؤسسة العربية ـ بيروت سنة ١٩٨٠م.

١٥٨ ـ الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ـ للشيخ محمد الخضر حسين ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

١٥٩ ـ السنة والبدعة ـ للشيخ محمد الخضر حسين ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

١٦٠ ـ روح الحضارة الإسلامية ـ للشيخ الفاضل ابن عاشور ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٣م.

١٦١ ـ صلة الإسلام بإصلاح المسيحية ـ للشيخ أمين الخولى ـ نهضة مصر ٢٠٠٦م.

جـ ـ مناظرات :

١٦٢ ـ أزمة العقل العربى ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

١٦٣ ـ المواجهة بين الإسلام والعلمانية ـ دار الآفاق الدولية ـ القاهرة سنة ١٤١٣هـ.

١٦٤ ـ تهافت العلمانية ـ دار الآفاق الدولية ـ القاهرة سنة ١٤١٣هـ.

د ـ بالاشتراك مع آخرين :

١٦٥ ـ الحركة الإسلامية : رؤية مستقبلية ـ الكويت سنة ١٩٨٩م.

١٦٦ ـ القرآن ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٢م.

١٦٧ ـ محمد ﷺ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٢م.

١٦٨ ـ عمر بن الخطاب ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٣م.

١٦٩ ـ على بن أبى طالب ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٤م.

١٧٠ ـ قارعة سبتمبر ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٢م.

• صدر حديثًا :

١٧١ ـ إحياء الخلافة الإسلامية : حقيقة أم خيال ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٥م.

١٧٢ ـ حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ سنة ٢٠٠٢م.

١٧٣ ـ الشيخ الشهيد أحمد ياسين . . وفقه الجهاد على أرض فلسطين ـ مركز الإعلام العربى ـ القاهرة ـ سنة ٢٠٠٤م.

١٧٤ ـ الإصلاح بالإسلام ـ نهضة مصر سنة ـ ٢٠٠٥م.

١٧٥ ـ الإمام محمد عبده : مشروع حضارى للإصلاح بالإسلام ـ مكتبة الإسكندرية ـ سنة ٢٠٠٥م.

١٧٦ ـ الفاتيكان والإسلام : أهى حماقة؟ أم عداء له تاريخ؟؟ ـ مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٧م.

١٧٧ ـ مقام العقل فى الإسلام ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٧م.

١٧٨ ـ الفتوحات الإسلامية: تحرير.. أم تدمير؟؟ ـ تحت الطبع.
١٧٩ ـ فوائد البنوك: حلال أم حرام؟ ـ تحت الطبع.
١٨٠ ـ القرآن يتحدى ـ تحت الطبع.
١٨١ ـ من أعلام الإحياء الإسلامى ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٦م.
١٨٢ ـ الإصلاح الدينى فى القرن العشرين ـ الشيخ المراغى نموذجا ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٧م.

• سلسلة (هذا هو الإسلام) ـ مكتبة الشروق الدوليّة:

١٨٣ ـ الدين والحضارة، عوامل امتياز الإسلام ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.
١٨٤ ـ السماحة الإسلامية، حقيقة الجهاد.. والقتال.. والإرهاب ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.
١٨٥ ـ احترام المقدسات، خيرية الأمة، عوامل تفوق الإسلام ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.
١٨٦ ـ الموقف من الديانات الأخرى، الدين والدولة ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.
١٨٧ ـ الموقف من الحضارات الأخرى، أسباب انتشار الإسلام ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.
١٨٨ ـ قراءة النص الدينى بين التأويل الغربى والتأويل الإسلامى ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

***